

قصة البيت

الجزء الثاني



بيت يسكنه الجن

أحمد عبد الرحيم



الحلم للنشر والتوزيع



قصة البيت



سلسلة

قصة البيت



العدد الثاني

بيت يسكنه الجن

مقدمة

ما زالت فاطمة مختفية...

ماذا؟؟

تسأل من هي فاطمة؟ أنت لم تقرأ إذن القصة السابقة؟

ليس هذا السؤال هو المهم، بل الأهم هو: أي مخاطر سوف نواجه هذه المرة ونحن نبحث عن فاطمة؟

هذه المرة سوف نتطرق للهوس الذي أصاب الناس في كثير من قرى ومدن مصر؛ بحثًا عن الكنوز الفرعونية والآثار وعن التضحيات التي هم مستعدون لتقديمها من أجل الوصول للآثار المخبأة، حتى التضحية بالقرابين البشرية.

– عن أخناتون والجن الرصد والمعلم سعيد تاجر الآثار القاسي والأستاذ حسن مدرس التاريخ وغيرهم نتحدث.

تريد أن تخاف أكثر، تريد أن تشعر بالرعب، تريد أن ترتعد أطرافك، حسنا.. لك وعدي بأن يحدث هذا

تلك المرة.

دعنا لا نكثر الثرثرة التافهة ولندخل مباشرة في الموضوع.

p p p





الفصل الأول

اللقية

عودة إلى قرية العوامر التي جرت فيها أحداث الرواية السابقة، القرية الهادئة الجميلة التي تقع على الشاطيء الغربي للنيل، البيوت التي في أغلبها مكونة من طابق أو اثنين وقد بُنيت منذ سنوات فيضان النيل؛ حيث نصفها الأسفل من الحجر الضخم مع بعض البيوت الحديثة التي أُقيمت عقب سفر بعض أبنائها إلى الخليج.



الشوارع الترابية النظيفة الحميمية، الأشخاص الطيبون، الذين يعمل أغلبهم بزراعة الأرض مع وجود قليل من الموظفين الحكوميين في المدرسة أو الوحدة الصحية أو الجمعية الزراعية وهي تقريبا كل المؤسسات الحكومية بالقرية، الترعة التي تفصل القرية إلى نصفين، أشجار التوت والجميز على شاطئيها، الشباب الجالسون يتسامرون في أماكن أغلبها على ضفتي الترعة أو في بعض المقاهي القليلة، الحقول المحيطة بالقرية من كل النواحي، الهواء النقي النظيف والطبيعة الرائعة، الدكاكين القليلة التي تبيع السلع الضرورية للمعيشة، المواشي التي تمشي في طرق القرية قادمة أو ذاهبة إلى الحقل، وكذلك النيل العظيم الذي يحد القرية من الشرق، تقف على ضفته تتأمله، نظيفًا شامخًا راقيًا غير ملوث، لو دققت النظر ربما لوجدت آثار أخناتون العظيم وأجدادك المصريين القدماء كانوا منذ حين يقفون هنا، لا تنس أننا على مرمي حجر من تل العمارنة، عاصمة دولة توت عنخ آمون.

هذه حياة تدعو للحياة – لو صح القول– فقط لو كنت ثريًا قليلا تعرف كيف تستمتع بوقتك هنا على أن تكون من عشاق الهدوء والسكينة، لا أحداث تحدث هنا تقريبا، إلا فيما ندر، نحن لا نتحدث

عن صعيد المسلسلات العربية الساذجة التافهة حيث الثأر والقتل..إلخ.

غير أن أحداث تلك القصة تجري قبل أيام من اختفاء الفتاة الصغيرة فاطمة، كانت القرية في هدوئها وسكينتها، لاتنس أننا الآن في العام ١٩٩٨.

مثل أغلب العائلات في القرية، تعيش عائلة الحاج عبد الصادق، حياة أقرب إلى الفقر ولكنها راضية، الآن محمد ابنهم الأكبر قد حصل على دبلوم الثانوي الصناعي وذهب إلى القاهرة للعمل مع نفر من أبناء القرية، يرسل لوالديه كل فترة المبلغ المالي الذي يتوافر معه؛ ليساعدهم على المعيشة الصعبة، الوالد لديه بضعة قراريط يزرعها ويعيش منها مع الوالدة والابن الأصغر محمود الذي يذهب إلى مدرسة الشهيد عادل الابتدائية بالقرية.

يسكنون بيت من طابق واحد ملكهم مبني بالطوب اللبن، بنيان قديم ولكنه في الآخر بيتهم (ويسترهم) كما يقولون، لديهم أمل كبير أن يسافر محمد إلى (الخارج) ويُحسن معيشتهم.

كان وقت الظهيرة، وقد عاد محمود ووالده من الحقل، بالطبع كنا في الإجازة الصيفية.. كان محمود يحفر في ساحة البيت الخلفية المخصص

جزءاً منها لمواشيهم التي لا تتجاوز بقرة وحمار مع بضع دجاجات تتقافز هنا وهناك وتُصدر ضجيجا محببا في البيت، محمود أراد أن يزرع شجرة مانجو في فناء البيت وهي ما يعتبره الناس هنا كنز الأشجار، بضع ضربات ضربها بالفأس التي يحملها بيده الصغيرة في الأرض التي بنيت عليها بيوت القرية كلها على حدود الأرض الزراعية، فجأة اصطدمت الفأس بشيء تكسر مُصدرًا صوتًا عاليًا مختلفاً عن المعتاد، توقف محمود عن الحفر، مد يديه بحذر إلى موضع الفأس، أخرجها ونظر إلى ما بها، قطعة فخار مكسورة، بها آثار تراب، ليست شيئًا مذهلًا فمن المعتاد أن تجد هنا بقايا أواني فخارية من التي يستخدمها الناس كثيراً، ولكن محمود الصغير وهو يتأملها شعر أنها مختلفة، بها آثار كتابة غريبة لا يعرفها، تأملها وقلبها بين يديه قليلًا ثم ترك الفأس ودخل إلى البيت.

أمام والده عرض محمود قطعة الفخار، تأملها الأب وقلّبها بين يديه جيداً بدوره وهو يفكر مليًا، أول ما يتبادر إلى ذهن الناس هنا في هذه الأحوال الآثار الفرعونية أو اللقية كما يطلقون عليها، بسرعة عاد مع ابنه إلى فناء الدار الخلفي وقد قرر أن يحفر هو بنفسه حيث وجد ابنه قطعة الفخار وقد تبعتهم



زوجته دون أن تفهم ما يحدث إلا أنها استنتجت أن أمرًا غير طبيعي يجري في البيت.

عندما بدأ عبد الصادق في الحفر بحذر لم يعثر سوى على بعض قطع أخرى من نفس الجرة، أخيراً تعب من الحفر وقد أيقن أنه لن يجد شيئًا بنفسه، أخرج أجزاء الجرة المتكسرة ونظر إليها بين يديه وبين يدي ابنه، فجأة شعر بضيق وانقبضت أنفاسه لسبب غير معروف، نظر لزوجته وجدها تتمتم بصوت مرتفع:

– ياساتر يارب، قلبي انقبض فجأة.

– ماذا هناك، ماذا بك؟

– لا شيء، فجأة شعرت بانقباض قلبي، أشعر أن شيئًا سيئًا سوف يحدث.

نظر محمود إلى والديه وقد بدأ الخوف يجتاحه، اقترب من والده والتصق به.

كان عبد الصادق يشعر هو أيضا بذات الشعور.. التشاؤم، أشار بيده إلى الداخل وهم أن ينطق بشيء إلا أن ما حدث جعلهم جميعًا يتسمرون في أماكنهم في رعب.



p p p

الماشية في البيت هي جزء من أهله، تعرف أصحابها كما يعرفونها، تستأنس بهم، ولا يحدث أبدا أن تصيب أحدهم بأذى، ولكن ما حدث في تلك اللحظة كان جنونيًا بحق، فجأة ارتفع صوت الدجاجات بدأت تصيح برعب وتتقافز في البيت وتجري لا تلوي على شيء، بشكل جنوني، جعل الرجل ينظر لها بذهول ويضرب كفًا بكف والكل يلاحقها بنظراته المذهولة، بينما رفع الحمار– الذي كان منذ ثواني يقف هادئًا يلوك بفمه بعض العليق في بطئ وخمول – رأسه لأعلى فجأة، وأطلق نهيقًا غريبًا، بدا خائفًا وفجأة اجتاحه الجنون فبدأ يرفس بأقدامه ويضرب الأرض ويتقافز بحجمه الضخم الذي هز الأرض، ويُطلق أصواتًا غريبة عالية حتى أنه قطع الحبل المربوط به من عنف حركته وانطلق هو أيضا في الفناء كالمجنون، وكأنه لا ير أصحابه الواقفون وقد شلت المفاجأة تفكيرهم وحركتهم، حتى أصابت قدمه الخلفية محمود الذي تحرك نحو والدته ليبعدها عن طريق الحمار المجنون، أما القط الأليف الذي يعيش عندهم في المنزل فلم يكن تصرفه أقل غرابة وإن كان أقل

عنفًا، فقد تكور على نفسه في أحد جوانب الفناء وأخذ يموء بشكل غريب.

دخل الثلاثة بسرعة إلى البيت وأغلقوا الباب خلفهم، وقد تحول فناء البيت إلى سيرك فقد فيه الحمار والدجاج والقط عقولهم ويتصرفون بجنون حقيقي.

جلس الثلاثة في صالة الدار، لحظات صمت مرت والكل يلتقطون أنفاسهم ويحاولون أن يفهموا ما حدث منذ قليل، الزوجة كانت أول من قطع الصمت قائلة:

– ماذا حدث يا أبا محمد؟

نظر لها ولكن نظراته كانت خاوية، كان ينظر إلى الفراغ، هو أيضا لم يكن يفهم أي شيء على الإطلاق، بشكل تلقائي نظر إلى أجزاء الجرة المتكسرة التي ما زالت بين يديه، شيء ما يقول له إنها هي السبب في ما حدث.

– لا أعرف، لماذا جُنت الدجاجات والحمار بهذا الشكل غير المسبوق.

قالت الزوجة محاولة إيجاد تفسير:

– ربما هو العلف الجديد الذي أحضرته من الجمعية الزراعية؟

رد محمود: ولكن الدجاج لم يأكل منه.

– ربما تناول قليلًا منه من معلف الحمار.

– وماذا عن القطة، هل هي أيضا أكلت من العلف؟!

الأب: لا، لا أعتقد أن الأمر يتعلق بطعام الحيونات، إنه عندنا منذ فترة.

نظر له الاثنين في فضول لعل عنده جوابًا شافيًا لفضولهما، ولكنه لم يكن أقل منهما جهلًا لما يحدث ولا دهشة وفضولًا لمعرفة سببه، إلا إنه فكر في شيء ربما كان طرف خيط.. نظر إلى يديه اللتين كانتا لا تزالا تحملان أجزاء الجرة الفخارية الغريبة المتكسرة، كانت نظرة فيها قدر من الاهتمام مع بعض الخوف، توجهت نظرات الزوجة والابن أيضا إلى حيث ينظر الأب، كانت نظراتهما تحملان قدرًا كبيرًا من الخوف، تمتمت الأم:

– أعوذ بالله، هل بها بسم الله الرحمن الرحيم (عبارة تقال هنا عندما تقصد الجن) أم ماذا؟، ألقها في الخارج بعيدًا.

– لم يرد الأب وبالطبع لم يكن في نيته إلقاؤها.

كان الحمار والدجاجات لا تزال تجري في الفناء وتتصايح، وقد أصبح مزيج الأصوات ملفتًا للانتباه ويمكن سماعه على مسافة كبيرة ولكن ما حدث في تلك اللحظة أيضا كان شيئًا غريبًا جداً.

فجأة بلا سابق إنذار، توقفت كل الأصوات بشكل غريب، ومباغت وسمع الثلاثة صوت شيء ثقيل يسقط على الأرض، فصمتوا عن الكلام وأرهفوا السمع، لا صوت على الإطلاق، صمت مطبق، كان محمود أول من تحرك، انطلق نحو باب الفناء القريب منه، لم يمنعه والديه، تابعاه بنظرهما بترقب، فتح محمود الباب بحذر ونظر في الفناء، ثواني وأطلق صرخة عالية من هول ما رأى.

اندفع الأب نحو الفناء خلف ابنه وخلفهم الأم، نظر الثلاثة إلى المنظر الذي أمامهم بذهول وغباء مطبق، الدجاجات التي كانت منذ ثوان قليلة تملأ الدار صياحًا كالمجنونة وكذلك الحمار الثائر الذي كانت رفساته تهز الأرض، الكل مُلقى على الأرض ميتًا، موتًا مفاجئًا، لا بقايا حياة في أي جسد من الأجساد الملقاة على الأرض، حتى القط كان مكورًا وملتصقًا بالجدار في أحد الأركان.



تفقدت الأم دجاجاتها بغضب وحزن وقد أنستها الفاجعة الأحداث الغريبة التي تجري في دارهم.

لو كنت ريفيًا فسوف تعرف ماذا تعني الطيور والماشية بالنسبة للناس هنا، تتحدث عن بيض ولحم ونقود، نتحدث عن مصدر رزق دائم لا يطالب بمقابل ولا يكل، هي جزء مهم من الحياة اليومية، الآن قد مات هذا الجزء وكذلك الحمار الذي يحمل عنهم كل شيء ويحملهم من وإلى الحقل، تفقدوا الأجساد الفارغة من الحياة المسجاة أمامهم بصدمة وذهول وخوف من شيء لا يعرفونه، شيء يحدث في دارهم وهو على أي حال ليس خيرًا على الإطلاق. لم يكونوا يعرفوا إلى أي مدى كانوا صادقين في تفكيرهم.

p p p

محمد الابن الناضج العاقل، الذي يعتبره والده شريكًا له في المسؤلية ويعامله كرجل كبير، وليس كشاب بالكاد أتم العشرين، كان هو من فكر فيه الجميع، بعدما هدأت الأمور في البيت وجلست العائلة تتشاور فيما سوف يفعلون كان القرار النهائي أنه لابد من وجوده معهم، فمن

المؤكد أنه بالنسبة لهم أكثر تعليماً وأوسع حيلة وأقدر على فهم الأمور.

في المساء ذهب الأب ومحمود إلى سنترال القرية الصغير ليتحدثا إلى محمد في القاهرة.

– آلو، أيوه يا محمد، أنا محمود.. أخاك.

– أهلا يا محمود، ازيك وازي أمي وأبي والبلد، ما الأخبار عندكم؟

– الحمد للّه، أبي يريد أن يحدثك.

بقلق رد محمد: أعطه لي، هل حدث شيء لأمي؟

– ازيك يا محمد، أنا أبوك.

– أهلا والدي، ما الأخبار؟ صوتك متغير، هل حدث شيء لوالدتي؟ هل تريدون نقوداً؟

– والدتك بخير، لا تقلق، هناك أمر مهم، نريد أن تأتي البلد بأقصى سرعة.

بقلق شديد: ماذا حدث يا والدي، أرجوك طمني، أين والدتي؟ ماذا جرى لها؟

– واللّه يا بني كلنا بخير، ولكن هناك أمرًا مهمًا، لابد أن تكون موجوداً معنا، خذ أخاك سوف يخبرك.

– محمد، اسمع............

بأنفاس متلاحقة ومحاولًا ألا ينسى شيء ولكن باختصار– كما طلب منه والده– حاول محمود أن يشرح لمحمد ما جرى وقد تسارعت أنفاسه وتداخلت الكلمات من فرط الإثارة حين تذكر أحداث هذا الصباح.

في النهاية قال محمد: غدا إن شاء اللّه سوف أكون في البلد، سوف أركب قطار الصباح مبكرًا وقبل العصر سأكون عندكم، وقد كان، بالفعل ركب محمد قطار الصباح المغادر من القاهرة إلى أسيوط ووصل بيتهم قبل العصر، طوال الطريق وعقله يعمل محاولًا فهم ماحكاه له محمود، فكر في أشياء كثيرة جداً كلها ليست جيدة، خاف على والدته ووالده وأخيه جداً من أي مكروه قد يحدث لهم.

لا توجد جثث بالطبع للحيوانات النافقة ولم تدفن، ولكن تعاون محمود ووالده على جر الحمار الثقيل وحمل القطة والدجاجات إلى مكان في طرف القرية تُلقى فيه المهملات والأشياء المماثلة، ورغم ذلك

فقد وقف محمد يتفقد فناء الدار وهو يتخيل منظر الدجاجات والقط والحمار النافقين وقد تطوع محمود بالشرح التفصيلي للأحداث مع توضيح أماكنهم وبالطبع لم ينس أن يذكر له قصة بقايا الجرة التي كانت بداية الأحداث، وعندها توقف محمد كثيرًا وظل يفحص الأرض مكان الحفر وكان محمود قد ردمها بأمر من والده.

وفي الداخل أمسك محمد قطع الخزف وظل يفحصها جيدًا وقد لاحظ الحروف الغريبة المدونة عليها، وفي النهاية وبعد تشاور مع عائلته كان قد قرر شيئًا.

p p p

من ذا الذي لا يعرف المعلم سعيد..

على الضفة الشرقية للنيل تقع قرية الحوطا الشرقية، وتقع مقابر جزء كبير من القرى الواقعة في الغرب حيث بنيت المقابر في الصحراء الشاسعة بين الجبال، لا يعبر أهالي العوامر هناك إلا في حالة وجود ميت لدفنه والنادر منهم لديه أعمال ومصالح هناك، أنت هنا تتحدث عن أشخاص



من نفس العائلات تقريبا يسكنون الضفتين، الانفصال بينهم جغرافيًا فقط.

في الجبال والصحراء يوجد بعض الخارجين عن القانون من قرى وأماكن عديدة، هناك يستطيعون الفرار من الشرطة بسهولة والتوغل في الصحراء التي يعرفونها أكثر من أي شخص آخر.

وهنا يعيش المعلم سعيد تاجر الآثار المشهور والذي يعرفه تقريبا أغلب أهالي القرى المجاورة، لديه أتباعه الذين لا يتحرك دونهم، يتاجر في الآثار ولكنه لا يؤذي أي أحد وليس لديه خصومة مع أحد، حتى الشرطة لم تستطع أن تمسك عليه شيئًا.

لا تقتصر تجارة الآثار مع المعلم سعيد على منطقة جغرافية محددة فمصر كلها مجاله، تارة تجده في أسوان وأخرى في المنوفية وثالثة في المنيا، الرجل نشيط حقًا ويعرف ما يفعل، يعمل بكل نشاط لكي (يأكل عيش) لا تستبعد أن يكون له أتباع في جهاز الدولة نفسه وإلا كيف لم يُقبض عليه ولم يُتهم في قضية واحدة رغم معرفة الكل به.

المهم أن محمد قرر أن يعبر إلى الحوطا الشرقية لكي يعرض الأمر على المعلم سيد، وقد حدث..



في صباح اليوم التالي كان يركب العبارة التي تنقل الناس والمركبات والمواشي إلى الضفة الشرقية من النيل وقد وضع أجزاء الجرة المتكسرة في لفة صغيرة ووضعها في جيب جلبابه محاولًا قدر الإمكان ألا يكون ملفتًا للنظر، لو رآه أحدهم يقابل سعيد أو رجاله، ومعه لفافة لفكر أنها آثار فورًا، ولا يعرف عواقب ذلك.

تحركت العبارة فوق مياه النيل مع نسمات الصباح المنعشة، والشمس الساطعة لم تصبح حارقة بعد، المنظر خلاب، لولا ما يشغل باله لاستمتع به إلا أن شاغله ألهاه عن أي تمتع بالطبيعة.

وصل الضفة الشرقية، كان يعرف بيت المعلم سعيد وكان يأمل أن يجده هناك، وأمام البوابة الحديدية الضخمة التي تتوسط سورًا مرتفعًا جدًا يخفي ما بداخله في البيت قابله شخص لا يعرفه، تبدو عليه الشراسة، ألقى عليه السلام فرد باقتضاب، تبادلا بعض الجمل، كان الرجل عدوانيًا في كلامه بلا مبرر فلم يبدر من محمد شيء، ربما فهم أن هذا من مقتضيات عمله لطرد المتلصصين، توقع محمد ذلك، أفهمه أنه يريد المعلم سعيد في شيء خاص بالبلد والأرض، لم يخبره عن سبب حضوره الفعلي، أخبره الرجل أنه

مسافر، أظهر له محمد إصراره على مقابلة سعيد وحاول أن يبدي له أن الأمر خطير، فطلب منه أن يعود بعد غد أخر النهار.

لم يكن أمامه إلا المغادرة بعد أن ذكر للرجل اسمه كاملا وعائلته.

p p p

رغم كل التعب والعناء والحياة الشاقة الخشنة إلا أن عبد ربه كان يستمتع حقا بزراعة أرضه وريها، تراه بسنواته الأربعين وبشرته التي لوحتها الشمس تمامًا وهو مشمر عن ذراعيه و ساقيه ونصفهما في مياه الأرض التي يسقيها، منهمكًا تماما فيما يفعل.

هو يملك بضعة قراريط قليلة، ولكنه يعرف كيف يستغلها جيداً فيعيش منها مع أسرته الصغيرة، زوجته التي تساعده في كل شيء ووالدته العجوز التي تقيم معه وابنتيه الصغيرتين.

انهمك تمامًا في عمله بينما كانت المياه تغزو الأرض المزروعة حديثا بنبات الذرة وترويها فترى



أعواد النبات وقد انتصبت وردت فيها الحياة بعد دقائق من وصول الماء إلى جذورها.

أصوات تدفق المياه مع هدير آلة الري يتداخل مع أصوات ماشية يرتفع أحيانا في الجو محدثًا سيمفونية طبيعية رائعة، على مقربة يحوم طائر أبو قردان الأبيض رائع الشكل والذي يُسمى صديق الفلاح، ينقض أحيانا على دودة أو فأر في الأرض ويصعد به بين شفتيه، يتغذى طائر أبو قردان في الأساس على الحشرات والديدان التي تظهر في الأرض و تفسد المحاصيل الزراعية لذا فإن الفلاحين يحبونه ولا يؤذونه أبداً.

كان هذا السيناريو معتاداً بالنسبة لعبد ربه، مكرراً آلاف المرات، يجري في رتابة بينما الفتاتان تجلسان على مقربة من والدهما تراقبان عمله، وهما تتسليان بالكلام واللعب أحيانا تحت شجرة النبق الظليلة العجوز وهما مستعدتان لتقديم أي مساعدة يطلبها منهما.

فجأة أطلقت إحدى الفتاتين صرخة عالية، انتفض على أثرها عبد ربه وانتصب جسده المنحني على الأرض ونظر لابنته بسرعة فوجدها تشير إلى السماء صارخة: أبي انظر.

نظر الأب إلى السماء وعقد حاجباه وفتح فمه بذهول تام لهول ما يرى.

p p p

لثوان قليلة تسمرت أقدامه في الأرض وهو ينظر إلى السماء، ثم تنبه على صراخ ابنتيه فألقى ما في يده وانطلق مسرعا نحوهما، أحاطهما بجسده محاولًا حمايتهما من شيء لا يفهمه، وعلى مقربة في السماء كانت طيور أبو قردان البيضاء الناصعة جميلة الشكل تحترق وتهوى نحو الأرض والنيران تشتعل في أجسادها، مطلقة صوتًا رفيعًا متألمًا قبل أن تهبط جثث هامدة محترقة، بنظرات يملؤها الذعر وبعدم فهم، راقب عبد ربه وابنتيه _اللتان كان يحتضنهما_ المشهد المريع دون أن يحركوا ساكنًا ودون أن يفهموا سببًا لما يحدث، في الواقع لم يكن هناك أي سبب ظاهر لاشتعال النيران في الطيور بهذه الطريقة، تسمر الثلاثة في موضعهم وقد شلتهم المفاجأة وهول وغرابة الحدث، دقائق تساقطت خلالها عدة طيور مشتعلة بينما فرت أخرى مبتعدة حتى خلت السماء منها، بعدها لملم عبد ربه حاجياته وتوقف عن ري الأرض وأمسك ببناته وعاد مسرعًا إلى بيته.



وبدا أن أيامًا عصيبة تنتظر القرية وأهلها.

ppp

انتظر محمد اليومين، قضاهما في زيارات لأقاربه وأصحابه يُسلم عليهم، ويحكي لهم عن القاهرة ومعيشتها وأهلها وعمله هناك ويختلق الأكاذيب التي يرد بها على تساؤلاتهم عن إجازته تلك المفاجئة، وعندما يعود إلى البيت لا يعرف لماذا يشعر بضيق شديد وكآبة على غير المعتاد، وحدث شيء نادرًا ما يحدث، تشاجرت والدته مع والده ودون سبب يُذكر.

أصبح البيت شيئا فشيئا لا يطاق، هناك شيء غريب يجري، شيء غامض جدا وشرير جدا لا يستطيع أن يفهمه.

نام محمد وفي عقله تجري عشرات الأفكار والخيالات ما بين محاولات تفسير ما يحدث في بيتهم وما بين سيناريوهات رسمها لمقابلة المعلم سعيد، وشرد بخياله بعيدا، داعبه حلم الثراء وهو يتصور أنهم قد وجدوا مقبرة فرعونية في بيتهم، مليئة بالذهب والتماثيل الأثرية وباعوها بملايين الجنيهات. غافله النوم بين هذه الخيالات بضعة ساعات، ثم استيقظ شاعرًا باختناق في صدره



وعطش شديد، غادر فراشه وذهب ليشرب، ثم قرر أن يستنشق بعض الهواء النقي، فتح باب فناء الدار غير المسقوف مقررًا أن يبقى هناك قليلًا في الهواء مع صفحة السماء المزدانة بالنجوم اللامعة الجميلة في هذا الوقت من الليل، ولكنه تسمر مكانه بمجرد أن نظر إلى الفناء واقشعر جسده رعبًا.

p p p

هناك.. وفي مكان الحفرة التي وجد فيها محمود الجرة كان هناك كيان ما، شيء ما لا يعرف كنهه، جسده أقرب لطفل صغير، كيان أسود، لا تبدو فيه إلا عينيه، الضوء الضعيف القادم من النجوم البعيدة جعل الكيان أكثر غموضًا وإبهامًا وبالتالي أكثر رعبًا.

نظر إليه بعينين ناريتين، للحظة واحدة التقت عيناهما، كانت نظرته مخيفة، دب الرعب في أوصال محمد وتجمد مكانه لا يستطيع أن يُحرك ساكنا، لم يكن للكيان ظل يبدو على الأرض، ثوان قليلة، فرك محمد عينيه بيديه بعنف ليتأكد من صحة ما يرى، وفتحهما مرة أخرى دون أن يحولهما عن الموضع



ذاته إلا أنه لم يجد شيئا، نظر مليا، تقدم خطوات مترددا واقترب من مكان الحفرة المردومة إلا أن شيئا لم يكن هناك، هل تخيل ما رأى ولم يكن هناك شيء بالفعل؟ لا.. هذه النظرة وتلك العينان المخيفتان لا يمكن أن يكونا وهمًا أبدا، هو متأكد مما رأى، ولكن أين ذهب؟

لا شيء هناك على الإطلاق ولا آثار له على الأرض؟ إذن كيف اختفى بهذه السرعة؟ تساؤلات.. تساؤلات ملأت رأسه واصطفت بلا إجابة بجوار سابقاتها.

عاد إلى فراشه وقد تأكد أن أيامًا عصيبة قادمة.

* * *

في الميعاد كان هناك جالس أمام المعلم سعيد الذي استقبله بترحاب، وجلس معه في المندرة بمفردهما، المعلم سعيد لا يهزل، أنت لا تعرف المعلم سعيد، لابد أن يكون لديك مبرر قوي لكي تقابله وتجلس معه بمفردكما، المعلم سعيد الرجل الناضج الخمسيني الأسمر البشرة النحيل حاد الملامح، ذي النظرة الثاقبة والشارب الضخم الساقط على فمه، بملابسه الريفية الغالية الثمن، وحذائه الأسود اللامع، هذا حقا رجل لا يخشى أحد، لا



حكومة ولا غيره ولا حتى جني يستطيع أن يخيفه، كان كما سمع عنه.

بعد السلام والترحاب والسؤال عن الأهل والبلد والشاي الصعيدي الثقيل الذي جاء به من يبدو غفيرا لديه، هذا رجل عصابة منظم حقا، تشعر أنه ملك في مملكته، هذا هو الانطباع الذي أخذه عنه محمد، لم يطل الوقت لكنه دخل في الموضوع مباشرة وقص عليه تفاصيل العتورعلي الجرة، وفوجئ بسؤال سعيد له إذا كان شيئًا غريبًا قد حدث عندهم في الدار، قص عليه ما رآه بليل الأمس، كان سعيد يسمع بتمعن ودون أن يبدو على ملامحه أي تغير، في نهاية كلام محمد، ودون تفكير طلب منه سعيد أن يخبر والده أنه سوف يقوم بزيارتهم غدًا مساءً مع بعض الضيوف.

بقلق وترقب انتظر محمد وأسرته الزيارة، قلق من عدة أمور، البلد صغيرة وأي غريب فيها أو ضيف يظهر على الفور، ما بالك بزيارة المعلم سعيد بنفسه، ومن ناحية أخرى فإن كيان الأسرة قد انقلب تماما بعد الأحداث الأخيرة بالإضافة إلى حلم وجود آثار في البيت والثراء.

جاءت اللحظة ووصلت سيارة سعيد، كان أكثر ذكاءً من ظن محمد، جاء في سيارة ربع نقل عادية ومعه

شخص واحد يركبا في كابينة السيارة من الأمام معا بالإضافة إلى السائق، بعيداً قليلًا عن بيت محمد على ناصية الشارع توقف السائق ونزل سعيد ومعه الآخر، كان رجلًا غريبًا عن القرية، لم يره من قبل، يرتدي جلبابا وقد أطلق لحيته، كان محمد في انتظارهم، تقدم منهم وبعد سلام باقتضاب اصطحبهم إلى بيته ناظرًا حوله محاذرًا أن يكون أحد قد رآهم، كان الليل قد أرخى سدوله على العالم، ولا يسير كثير من الناس في الطرقات، بسرعة دخل الجميع إلى البيت وبعد أكواب الشاي السريعة، طلب المعلم سعيد والشيخ حمدي – كما قدمه لهم المعلم سعيد– طلبوا رؤية مكان الحفر فقام الجميع إلى هناك وأضاء محمد المكان بشكل مناسب، تقدم الشيخ حمدي وقد ركز نظره وبدت ملامحه غريبة وركز بكل جوارحه وكأنه يشعر بشيء ما، بدأ يتمتم ببضع كلمات في البداية بدت آيات قرآنية، ثم تسارعت كلماته وانخفض صوته وأصبحت كلماته غامضة لا يُفهم منها شيئًا، صمت الكل تماما ولم يحركوا ساكنا، دقائق قليلة استغرقها الشيخ حمدي وهو يدور حول المكان ويتمتم بما لا يفهمه أحدهم، ثم أشار إلى سعيد فتقدم منه وانتحى به جانبا، أسرَّ له ببضع كلمات، وعاد الكل إلى الصالة التي كانوا يجلسون فيها.



كان سعيد أول من تكلم:

– حاج عبد الصادق! أريدك أن تأتي غداً لزيارتي في الحوطا الشرقية مع محمد.

نظر الرجل إلى ابنه ثم رد: حاضر يا معلم سعيد، سوف نأتي إن شاء الله.

ثم أضاف متردداً وبلهجة أراد منها أن يفهم أكثر: خير؟

– خيراً إن شاء الله، خير وسوف يعم علينا جميعا.

ثم وقف معلناً نهاية الحوار تاركاً عبد الصادق وولديه في حيرة قائلا:

– سوف أنتظركم غداً ظهراً، سوف نتغدى معا ليكن عيشاً وملحاً.

p p p

في الميعاد ذهب محمد ووالده إلى الحوطا الشرقية، استقبلهم رجال المعلم سعيد وأدخلوهم إلى صالة واسعة و التي سبق أن قابل

فيها محمد سعيداً، كانوا رجالًا أقوياء يحملون السلاح، وكأن سعيد قد قصد أن يُظهر لهم قوته، أخبرهم أحدهم أن المعلم سعيد (يفعل شيئًا ما وسوف يأتي) نصف ساعة قضاها الاثنان في الانتظار وقد جاءتهم أكواب الشاي، دخل بعدها سعيد ومعه الشيخ حمدي، بعد تبادل التحية، بادرهم سعيد بالقول:

– لا كلام في أي شيء حتى نتغدى، كما قلت حتى يكون بيينا (عيش وملح).

– تمتم عبد الصادق ببضع كلمات شكر ومجاملة، ثم دخل اثنان من الرجال وقد حملوا أواني طعام كثيرة ووضعوها على مائدة كبيرة في طرف الصالة، وأشار سعيد فقام الجميع إلى المائدة الزاخرة بكل أنواع الطعام مع الإكثار من اللحوم وكأن سعيداً قد قصد أن يُبهرهم أيضا بكرمه.

انتهي الطعام وجاءت أكواب الشاي، ومعها الحديث المنتظر.

– انتظر يا أبا محمد، باختصار ودون لف ولا دوران أريد أن أبشرك بشرى عظيمة.



تهللت أسارير محمد ورقص قلبه طربًا وكذلك والده وأشرقت الوجوه وقد فهما ما يرمي إليه سعيد فرد الوالد:

– تفضل يا حاج سعيد.. أسعدني، ربنا يسعدك بأولادك.

– عندكم لقية في البيت.

–...............

– ولقية غالية على حد قول الشيخ حمدي.

أمن حمدي على كلامه وهو يرشف من كوب الشاي باستمتاع عقب تلك الوجبة الدسمة: فعلا يا أبا محمد هناك كنز في بيتك.

– هل أنت متأكد من كلامك يا شيخ؟

– طبعا يا أخ محمد، أنا– بفضل اللّه– في هذه الأشياء أستطيع أن أعرفها بوضوح شديد.

ناظرًا إلى سعيد، أكمل محمد:

– وما الخطوة التالية يا معلم؟

بتأني وبهدوء متأملًا وجها محمد ووالده رد سيد:

أمامكم اختيارين، الأول: تأخذوا مليوووون جنيه وتتركوا لنا البيت باللقية بكل شيء.

ألقى الكلمة متعمداً أن يضغط على حروف كلمة مليون وهو يتفرس في وجه الاثنين جيداً، ولاحظ التغير الشديد الذي ظهر عليهما، مشاعر متضاربة كثيرة اعتمرت داخل صدر محمد ووالده بعد أن ذكر سعيد المليون جنيه، ضخامة المبلغ بالنسبة لأسرة فقيرة مثلهم بدت حلماً. نظرا إلى بعضهما في صمت والعيون غير مصدقة لما تسمعه الأذان، ثوان مرت دون أن يتكلم أحد حتى قطع محمد الصمت قائلًا:

– والثاني؟

– أن نحفر في البيت وما يخرج من الكنوز على نصفين، النصف لي ورجالي والنصف لكم.

– ولكن يا معلم سيد؟

بشكل حاسم قاطع الرجل:



– لا مساومة، أنا أكرمتكم لأننا أبناء بلد واحد وتساهلت معكم جدا عندما طلبت النصف فقط ولكم أن تاخذوا المليون جنيه وتتركوا لنا البيت.

– إذن دعنا نتشاور ونرد عليك.

– خذا راحتكم، ولكن احذرا أن يعلم أحد من البلد بالموضوع. ولا تحاولا أن تُدخلا أحداً في الموضوع، هذه الأمور تحتاج إلى سرية تامة.

كان الكلام تحذيراً أكثر منه نصيحة وقد فهما الرسالة جيداً.

p p p

الدكتور عمر الرجل الغامض الغريب الذي جاء من أمريكا مؤخراً بانياً فيلا على أطراف القرية يعيش فيها مغلقاً على نفسه ولا أحد من القرية يعرف عنه شيئاً، لا صلة له بالعالم الخارجي إلا من خلال العجوز الذي يعمل عنده كبواب وخادم وكل شيء، لديه ذلك الكلب البوليسي الشرس الضخم الذي يُعد أسداً إذا قورن بكلاب البلد الضالة الهزيلة، في ذلك الصباح كان عمر يطالع كتاباً في بلكونة



فيلته، عندما لفت انتباهه عواء الكلب بشكل غريب وهو يرفع رأسه إلى السماء، ليس نباحًا شرسًا كالعادة، ولكنه عواء أقرب للخوف والرهبة، جذب الصوت انتباهه فترك الكتاب ونظر إلى الكلب باهتمام فوجده يرفع رأسه للسماء ويعوي، نظر الدكتور إلى السماء وأذهله ما يرى، كتلة مشتعلة تهوى بسرعة إلى الأرض فوق حديقة فيلته، ركز بصره جيداً ليتأكد مما يرى، كان طائرًا محترقًا يهوى من السماء، سيطر عليه الذهول وألجمه فلم يتحرك ثوان وهو يتابع ببصره الطير وهو يصل إلى الأرض على مقربة من الكلب الذي فزع بشدة وكأنه ينظر لشيطان رجيم، كانت أول مرة يرى فيها عمر الكلب في هذه الحالة، حيث أطلق عواء خائفًا حزينًا وانزوى في جانب الحديقة متكومًا في رعب، تفحم جسد الطائر تمامًا أمام عيني عمر بينما كان العجوز قد أتى من الطرف الآخر للحديقة وقد رأى المشهد ولكنه لم يفهم شيئًا هو أيضًا.

لوقت غير طويل أسكرت الفكرة محمد وأسرته، فكرة الثراء السريع جدا بهذه الطريقة، كلمة مليون جنيه ظلت تتردد في عقلي محمد ووالده، الأم البسيطة لم تدرك حجم النقود والثراء ولكن الأمر وصل لأقصي ما يمكن أن تتصوره، وبسرعة راحت السكرة وجاءت الفكرة، ليس الأمر بالبساطة



التي يتصورون، الأمر فيه خطورة شديدة، أنت هنا تدخل في عداء مع الدولة، تسرق الآثار وتبيعها، ثم أن سعيد ورجاله مصيبة أخرى، أدركوا أنهم دخلوا في شرنقة لا خروج منها، لا خيارات هناك، القبول بالمليون جنيه أمر مقبول تمامًا ولكن لو حدث لانتهت علاقتهم تمامًا بالبلد، هؤلاء ليسوا بالناس الذين يهجرون أهلهم وأرضهم وبلدهم وينسلخوا عنهم أبدًا.

بعد تفكير ونقاشات طويلة بينهم انتهوا للحل الوحيد المتاح، ليكن خيارهم التنقيب في البيت ولهم نصف الكنز، وترك الأمر للمعلم سعيد ورجاله.

p p p





الفصل الثاني

التنقيب

لم يتأخر كثيراً، جاء أول مرة المعلم سعيد ومعه الشيخ وخمسة رجال أشداء، أربعة عمال حفر ورئيسهم وبعض آلات الحفر، أشاعت الأسرة للجيران أنهم يريدون هدم بيتهم ثم بنائه بطريقة حديثة ولكن آلاف التساؤلات ثارت حولهم، ونظر لهم الناس بشك. تحملوا كل شيء، فحلم الثراء الفاحش أذهب العقول وأعمى العيون عن أي شيء آخر.

حدد الشيخ مكان الحفر حسب إشارات غامضة لم يفهمها أهل البيت، ولكن واضح أن المعلم سعيد والعمال قد اعتادوا هذا الأمر، إشارات ودلائل أرشده إليها الجن على ما يبدو.

بدأ أمر الشيخ يتضح شيئًا فشيئًا، هو(مخاوي) للجن كما يُطلق عليه هنا، حدد مكان الحفر للجميع وظل يلف ويدور في المكان وهو يتمتم بآيات من القرآن الكريم، قرأ الفاتحة سبع مرات وأطلق بعض التعاويذ الغامضة غير المفهومة بكلمات مبهمة،



بينما كان من بدا عليه رئيسًا لفريق الحفر يقرأ هو أيضا آيات من القرآن.

في هذه الأثناء كان الجميع ينظرون إليه في شيء من الرهبة وخاصة أهل البيت حيث كانت المرة الأولى التي يرون فيها مثل هذا المشهد، أنهى الشيخ المزعوم الطقوس المقدسة للحفر وكذلك أنهى رئيس العمال قراءة القرآن وتراجع للخلف، بينما تقدم الشيخ إلى مكان الحفر بخطوات ثابتة ووقف متسمرًا وشخص بصره وكأنه ينظر لشخص غير موجود وارتفع صوته وهو يقول:

– باسم رب سليمان غادر المكان بسلام..عليك السلام.

كرر كلمة السلام سبع مرات، ثم أشار بيده فأحضروا له إناء به ماء مغلي منقوع فيه نبات الحلفا بر المعروف عندهم أنه طارد للجن، كان الماء يتبخر وقد حمله أحد العمال فأشار له الشيخ إلى مكان الحفر فنثره العامل والشيخ يكرر مرات عديدة متوالية:

اخرج بسلام.. اخرج بسلام.



انتهت طقوس الحفر وتراجع الشيخ للخلف مرة أخرى ليشير المعلم سعيد إلى أحد العمال الذي تقدم فضرب بفأسه الضخم أول ضربة في الأرض، نظر سكان البيت إلى بعضهم البعض وكأن الضربة كانت في قلوبهم التي دقت بعنف، ومعها بدا أن مستقبل تلك الأسرة قد تغير للأبد، وربما مستقبل القرية كلها.

* * *

– لا تقوموا بالبصق على الأرض!

– ممنوع قتل أي شيء يقابلكم أثناء الحفر في الأسفل حتى لو كان نملة أو حشرة صغيرة.

– لا يتحرك أي منكم حركة عنيفة مهما حدث.

– ممنوع الكلام عن الجن أو العفاريت مع بعضكم.

– لو حدث أي شيء يِشعركم بالخوف وأنتم في الأسفل، افتحوا هذا الكاسيت عليه شريط قرآن سوف يُشعركم بالهدوء والطمأنينة.

– الهبوط والصعود يكون في هدوء من خلال السلم الخشبي والسقالات الخشبية التي معنا



ودون تسرع حتى لا يسقط أحدكم.

– لو خالف أحدكم الأوامر وفعل أي شيء من ذلك فهو يخاطر بحياته وربما حياة زملائه وربما يلبسه الجن في لحظة واحدة.

كانت تلك تعليمات الشيخ للعمال بعد أن اتسعت الحفرة ووصل عمقها لحوالي عشرة أمتار في الأسفل بعدها تم استخدام الأسمنت والرمال والمياه في عمل مصطبة على هذا العمق، ثم بدأ الحفر في اتجاه أفقي أسفل البيت بناء على إرشادات الشيخ الذي كان يتلقى تعليماته من الجن، أصبح العمال يأخذون معهم مصابيح كهربائية متصلة بسلك طويل من البيت وألات حفر قوية وينزلون بصعوبة وفي الأسفل يصبح التنفس والعمل في شدة الصعوبة، لن أحدثك عن الحر والعرق والشعور بالاختناق والظمأ الذي لا يرتوي ولكنهم قد اعتادوا ذلك، يتغلبون على الروائح الكريهة التي تخرج من بين الصخور بزجاجات يحملونها بها ماء ورد يرشونه في المكان كل فترة، شيء آخر يحملونه معهم بناء على توصية الشيخ، سعف أخضر من جريد النخل وقد قال إنه يطرد الأرواح الشريرة الموجودة، كان الحفر قد مر تحت البيت وهناك خطورة في انهيار المنزل فوق من



يحفر ولكن لا شيء يستطيع إيقاف حلم الوصول للمقبرة الفرعونية المليئة بالكنوز.

لم تعد الأمور كما كانت، لم تعد الأشياء كما كانت، لم يعد الناس كما كانوا.

كل شيء تغير للأسوأ.. حتى الصحة تدهورت مع التقدم في السن، بالنسبة لبدوي الذي عاش طول عمره مع بناته الثلاثة وزوجته المريضة يعمل أجيراً باليومية في أراضي الآخرين، بالنسبة له قد ولت الأيام الجيدة التي كان يظل يعمل فيها طوال النهار كالثور في الحقول ويعود لبيته حاملًا الطعام وبعض الفاكهة القليلة أحيانا التي تعتبر من الترف بالنسبة لهم، وكان في أيام الجمعة يُحضر لهم اللحم، كمية قليلة ولكنها موجودة، الآن هم يعيشون فترة صعبة ولا أحد يشعر به ومن يشعر لا يستطيع إلى مساعدته سبيلا، لا شيء يُباع في البيت، لا شيء يُستثمر، لا ابن يساعده ولا أخ، الأيام تمر بمشقة يعلم اللّه كيف تمر، كثيراً ما تبقى الأسرة لأوقات طويلة بلا طعام، أعيته الحيلة، كثيراً ما يخرج للبحث عن أي عمل يقوم به و كثيراً ما يعود بلا عمل، اليوم كان ماراً أمام منزل محمد ورأى أشخاصاً غرباء يدخلون إليه، سأل، فأخبروه أنهم يهدمون بعض أجزاء البيت



ليعيدوا بنيانه، قابل عبد الصادق الذي كان يعرف ظروفه، طلب منه برجاء وإلحاح شديد أن يعمل معهم، لم يكن الأمر بيد عبد الصادق الذي رق قلبه له ولكن الموضوع كان أكبر منه ويتجاوز رأيه، طلب منه أن يمهله للغد، بالطبع ليعرض الأمر على المعلم سعيد.

على مضض قبِل سعيد أن يعمل بدوي معهم بعد أن أخبره عبد الصادق أنه عجوز يحتاج بشدة للعمل ولا خطر منه وأنه سوف يحذره أن يتكلم بشيء، وقد كان.

في هذا اليوم عاد بدوي إلى منزله وهو سعيد جدا بعمله المرهق بدنيًا ولكنه على الأقل عمل سوف يُدر عليه دخلًا يُطعم به أسرته.

كان الموضوع مرهقًا ومتعبًا لأهل البيت ولكن الهدف كان عظيماً، باعوا البقرة التي يملكون؛ حتى يستطيعوا سد مصروفات العمال من طعام وشراب وسجائر يومية، وأهمل محمد عمله في القاهرة وانهمك في العمل بنفسه في الحفر معهم أحيانا، حتى الصغير محمود كان يساعد في العمل، كان الحفر يجري طول النهار بينما ليلًا تسمع الأسرة أصواتًا مرعبة تأتي من ناحية الحفرة التي تتسع يومًا عن يوم، كأن كيانات شيطانية



غامضة تتصارع هناك في فناء الدار، بمجرد انتهاء الحفر وقت انسحاب الشمس وزحف الظلام كانوا يغلقون باب الفناء بقفل ضخم ويمكثون في الداخل لا يجرؤ أي منهم أن يفتح الباب ليرى ما يحدث بينما صوت القرآن الكريم القادم من الراديو الصغير الموضوع داخل البيت لا ينقطع ليلًا أو نهارًا.

بدا أن هذا الحفر –الذي امتد لمسافة عميقة تحت البيت وأصبحت الحفرة مرعبة لمن يتطلع إليها من فوق– بدا أنه أغضب الجن وأقض مضجع كائنات مرعبة تسكن الأعماق منذ آلاف السنين، فخرجت لتنتقم ممن أزعجها. لعنة.. وبدا أنها لن تكتفي بالبيت ولكنها قد تصيب القرية جميعها، وقد بدت مؤشراتها مع احتراق الطيور بشكل غامض ونفوق الحيوانات في البيت، لا أحد يتوقف ليفكر قليلا فيما يفعلونه، كانوا جميعا يعلمون أنهم تجاوزوا نقطة العودة، فقط كانوا يبتهلون للّه أن تمر الأوقات القادمة بسلام، ولكنهم كانوا واهمين.

* * *

كان محمد جالسًا أمام داره مع أخيه الصغير محمود عندما مر من أمامه أصدقاؤه وجيرانه وزملاء دراسته لفترة ما، عبد اللّه، عزيز وباقي الشلة ألقوا عليه



السلام، رد سلامهم ببرود استغربه هو نفسه، نظروا له بدهشة كان منظره مختلفًا تماما، العمل الشاق في الحفر والسهر والمصروفات الكثيرة التي أرهقتهم حتى الاستدانة من الناس من أجل مصروفات الحفر والعمال، أضف إلى ذلك جو الرعب والكائنات الشيطانية التي تمرح ليلا في بيتهم ويشعرون بها فتقض مضجعهم وتجعل نومهم نومًا قلقًا غير مستقر، كل ذلك جعل منظر محمد مريعًا ولكن أحدهم لم يجرؤ على سؤاله عن شيء، اكتفوا برده البارد ومضوا في سلام، لم تكن قط علاقتهم سيئة أو باردة ولكن الآن الوضع اختلف، لا يريد أن يزورهم أحد، وأصدقاؤه هؤلاء طالما جلسوا عنده في صالتهم الواسعة وشربوا أكواب الشاي وتناقشوا في كل شيء، الآن لا يريد أن يكثر معهم الكلام، لا يريد لأحد منهم أو من القرية كلها أن يعرف شيء أو أن يشعر بشيء، كان هو وأسرته يكذبون عليهم عندما قالوا إنهم يعيدون بنيان بيتهم وكثير من جيرانهم يعرفون أنهم يكذبون، ويتهامسون بينهم بذلك، ولكنها شعرة الحياء التي تمنع التصريح بالكلام، أراد محمد وأسرته أن تمر تلك الأيام بسرعة جدا حتي يصلوا لمبتغاهم وعندها سوف يتغير كل شيء بالنسبة لهم، ربما تركوا القرية وذهبوا للحياة في المدينة، ولكن لتمر تلك الأوقات بسلام، كان هذا ما يرجونه.



ppp

انهمك العمال في الحفر، وقد شعروا أن باب المقبرة قد اقترب فضاعفوا جهدهم فهم بالإضافة إلى أجرهم اليومي لهم جزء من الكنز الثمين الموجود في الداخل، لم يمل رئيس العمال عن تذكيرهم بالانتباه لأي شيء غريب، وتوقع أي شئ أيا كان، وعدم قتل أي كائن حي يجدونه في الداخل، ولكن شيئًا لم يحدث ولم يواجهوا أي شيء أكثر من بعض الحشرات هنا أو هناك في الأيام الماضية، بدا أن العمل يسير رتيبًا دون مفاجآت حتى الآن.

وكان اليوم قد بدأ يومًا عاديًا من أيام العمل الشاق ولكن أثناء الانهماك في الحفر بشكل تقليدي شعر أحدهم بصوت غريب قادم من خلف الجدار حيث يحفر، انتبه جيداً، طرق الحجر، بدا أن خلفه فراغ، أعمل آلة الحفر التي بيده بقوة وبسرعة، انزاح الحجر وانهار خلفه عدة أحجار، انتبه العمال الباقين إليه ونظروا نحو الجدار المنهار وسعل الجميع بعنف من جراء استنشاق الغبار، حركوا أيديهم بتلقائية محاولين إبعاد الغبار عن أعينهم وأنوفهم، ولكن أحدهم لم يجر أو يحاول الهروب



كما تنص تعليمات رئيسهم بل حاولوا الابتعاد عن مكان الانهيار.

في تلك الأثناء أمسك أحدهم بحبل طرفه عندهم والآخر في الأعلى –كان وسيلة اتصال صامتة إذا حدث شيء يتم تحريكه حركات كثيرة متصلة؛ لأن الصوت قد لا يصل من هنا إلى أعلى– وحركه عدة مرات متقطعة بطريقة متفق عليها لكي يُنبه من في الأعلى أن شيئًا ما قد حدث، مرت دقائق قليلة وبدا الغبار ينقشع، توجهوا بحذر مسلطين الضوء إلى ما خلف الجدار المنهار، وقد ظنوا جميعا أنهم وصلوا إلى باب المقبرة، تقدم الذي كان يحفر ونظر إلى الداخل محاولًا تبين ما يوجد في هذا المكان الغريب، وكان في انتظاره مفاجأة جمدت الدم في عروقه.

* * *

تنبه العامل الواقف بالأعلى إلى حركة الحبل، وكان قد انتبه على صوت يشبه الانفجار أو الانهيار المكتوم، شعر بقلق فأسرع ينادي رئيس العمال والذي عاد معه مسرعًا، نظر لأسفل ونادى بأعلى صوت: ماذا حدث عندكم؟



تردد صدى صوته للأسفل، وسمعه العمال ولكن الصوت كان يأتي من بعيد ولا سبيل لشرح الأمر على هذا النحو فالتواصل سوف يكون صعبًا جدا بهذه الطريقة، نظر العاملون الموجودون إلى رئيسهما فأشار الأخير لأحدهم قائلًا بحسم:

– انزل لترى ماذا هناك؟

تردد الرجل قليلًا ولكنه في النهاية أطاع الأمر، بينما كان محمد ووالده ينظرون لأسفل بقلق شديد وقد تحسبا لوقوع مكروه للعمال بالأسفل.

أمسك العامل بالسلم الخشبي وبدأ ينزل لأسفل وهو يشعر بخوف وقلق، نزل جزءًا كبيرًا من الحفرة العميقة وفجأة تجمد مكانه وتشبث بقوة بالسلم الخشبي، لقد شعر بحركة غريبة عنيفة أسفل منه، وما إن نظر للأسفل حتى اتسعت عيناه رعبًا وذهولًا وكأنه يرى الشيطان نفسه قادم نحوه.

p p p

انطلقت السيارة الجيب رباعية الدفع القوية في الطريق الأسفلتي الموازي للنيل من الجهة



الشرقية، وهي تقل في داخلها شخصين، أحدهما مصري والآخر أجنبي يتحدثان لغة هي مزيج من كلمات إنجليزية على كلمات عربية، كان أحدهما – وهو المصري الصعيدي الأسمر ذو الشارب المهذب والملامح المصرية جدا واللحية التي نمت قليلا، النحيل متوسط الطول ذو الشعر المجعد القصير والذي ارتدى قميصًا بأكمام قصيرة أبيض وبنطلونًا أسود اللون والذي يقود السيارة– يُدعى حسن، أما الأجنبي فبدا أنه صديق مقرب منه، ويُدعي مايكل وهو أوروبي السحنة، تعرف كيف يبدو الأوروبيين وخاصة المهتمين منهم بالآثار، خمسيني العمر، نحيل، يرتدي قميصا أيضا بأكمام قصيرة وبنطلون باجي بيج وحذاء رياضيا، أعطته النظارة الطبية والقبعة التي يرتديها هيئة أقرب لعلماء الآثار. الطريق الذي يسيرون فيه وعر جدا، ضيق شديد الخطورة، ممتلىء بالمنحدرات الخطرة، أي هفوة فيه تودي بك إلى هاوية، لذا لا تقابل فيه الكثير من السيارات وأغلبها سيارات أجرة، ولكن حسن كان يقود بأريحية ربما لحفظه هذا الطريق الذي مشي فيه مرات عديدة، كان أيضا يسكن في ملوي على مرمي حجر من هنا، وكثيرا ما جاء لزيارة المعلم سعيد من هنا، أشار إلى الخارج بيده محدثًا الخواجة:



– تعلم يا خواجة مايكل، الأراضي التي نمشي فيها الآن، كانت عاصمة دولة أخناتون، الفرعون المصري العظيم الذي دعي إلى توحيد الآلهة في إله واحد وعبادته وهو آتون قرص الشمس الباعث بالدفء والخير على الأرض.

أكمل الخواجة: نعم نعم، ولكن دعوته أحدثت ثورة وغضبا في طيبة بين كهنة آمون، فاضطر للخروج منها وجاء إلى هنا وبنى عاصمته تلك التي نمشي في حرمها الآن.

– أحسنت ياخواجة، أنت مذاكر جيد لتاريخنا.

– هذا عملي يا عزيز هسن.(نطقها هكذا)

– بعض المؤرخين يرجحون أن توت عنخ آمون الفرعون الذي أُكتشفت مقبرته العظيمة في تل العمارنة هنا هو ابن لأخناتون.

– نعم أعرف ذلك.

– هل أحضرت الخريطة معك؟

– نعم أحضرتها بالطبع، تعرف لو كانت تلك المقبرة التي تحدث عنها المعلم سعيد هي فعلا



مقبرة لإحدى أميرات أسرة أخناتون لكانت اكتشافًا عظيمًا.

– وثروة هائلة لنا.

صمتوا قليلًا، ركز حسن في الطريق الذي يبدو أنه اقترب من هدفه بينما ظل الخواجة يراقب الجبال والصحراء المحيطة بهم.

p p p

كان المعلم سعيد في استقبالهم في بيته في الحوطا الشرقية، حيث كان الاهتمام بهما غير عادي، استقبلهما في صالة بيته وأغلق الأبواب بحذر ونبه على حراسه ألا يقاطعهم أحد لأي سبب.

– أهلا بكم، نورتوا بلدنا، أهلا أستاذ حسن، نورت الصعيد كله يا خواجة مايكل.

– بلهجة عربية مكسرة رد:

– أهلا بك يا معلم سعيد.

– نورك يا معلم.



– لندخل في الموضوع مباشرة، ماذا لديك هذه المرة يا معلم سعيد؟ أنت لا يأتي من ورائك إلا كل خير.

– هذه المرة خير كثير إن شاء اللّه يا خواجة.

أخرج الأستاذ حسن خريطة من حقيبة صغيرة كان يحملها باهتمام وفردها أمامهم مشيرًا إلى موضع ما وقال:

– المقبرة هنا.

رد سعيد مشيرًا بيده للخارج:

– هي هنا على الضفة الغربية من النيل، على مقربة جدا منا.

– نعم، بالطبع بالطبع، ثم نظر إلى الخواجة مشيرًا إلى موضع من الخريطة وموجهًا كلامه للخواجة:

– نحن هنا في حدود الدولة التي أقامها أخناتون، لقد مررنا من حيث أتينا من الطريق الشرقي بتل العمارنة وهي قريبة جدا من هنا بل إن هذه القرية –الحوطا الشرقية– كانت جزءًا من عاصمة دولة أخناتون.



إذن فمن المرجح أن تلك المقبرة تخص إحدى شخصيات أسرة أخناتون أو من حوله.

– هناك شخصية ما في تلك الدولة لم تُكتشف مقبرتها حتى الآن، لو كانت هي فسوف تكون مفاجأة عظيمة حقا.

– هل تعني أن المقبرة تساوي الكثير؟

– لو كان ما في بالي صحيحًا فسوف تكون صفقة العمر لك يا معلم؟ هذه غير ما سبق بل إن كل ما سبق بالنسبة لها لعب أطفال.

– آه، إلى هذه الدرجة هي مهمة لكم؟

– لن تتصور مدى أهميتها.

– كم تساوي؟

دعنا لا نسبق الأحداث، نتأكد أولًا منها.

– نعم نعم، الرجال يعملون بلا توقف لا تقلقوا، ولكن أعطني رقمًا تقريبيًا، دعني أتشجع وأشجع رجالي أكثر.

– ليس أقل من عشرين مليون جنيه، مقابل المقبرة دون أن تمس، لو كانت مقبرة الأميرة الملكية التي نقصد.

– كادت السعادة تطيح بعقله، رد بسرعة:

إن شاء اللّه سوف تكون هي، إن شاء اللّه خيرا، سوف يكرمنا اللّه كثيرا.

* * *

تجمد الدم في عروق العامل المسكين، لم يستطع أن يحرك قدمه أو حتى أن يصرخ وهو ينظر بذهول لتلك العيون التي تحدجه بغضب شديد، حاول أن يحدد هوية الكيان الأسود الواقف أمامه بشعره الأسود الكثيف وعينيه المرعبتين، وقد احتشد في عقله ألف سؤال، لكن ذلك الكيان لم يمهله، فجأة أطلق صيحة أو زئيرًا غاضبًا وانقض عليه بعنف، بغريزة الحياة التي أصقلها عمله الشاق والمعرّض دائمًا فيه لمخاطر غير متوقعة، قفز العامل جانبًا فجاءت قفزة الكائن –الذي لم يكن إلا قردًا– في مكانه، غير أنه أصاب بمخالبه ذراعه فأدماه، تراجع الجميع بعنف والتصقوا بالجدران وقد أصابهم الذهول والرعب، أفسحوا له طريقًا فانطلق هاربًا لأعلى يتسلق الأحجار البارزة



الناتجة عن الحفر، عقد الذهول لسان الجميع فهذه مفاجأة لم يتوقعها أحدهم، وكان القرد قد قفز لأعلى وتسلق السلم سريعًا واختفى دون أن يفهم أحدهم ما حدث بالضبط.

عندما نظر العامل الذي كان يهبط لأسفل وجد القرد الغاضب يتسلق السلم لأعلى بسرعة، عقدت المفاجأة لسان الرجل وألجمته تماما فلم يعرف ماذا يفعل حتى وجد القرد يمر فوقه وقد أصابه أيضا بمخالبه فجرح جسمه ثم أكمل لأعلى طريقه بسرعة.

استدعى الأمر عدة دقائق حتى التقط العامل أنفاسه واسترجع عقله المشلول عن التفكير ثم اتخذ القرار وأعاد الصعود لأعلى مسرعًا.

وكانت الضجة والأصوات القادمة من أسفل قد أقلقت من فوق بشدة، فوقف رئيس العمال عند مدخل الحفرة ومعه العامل الوحيد المتبقي ومحمد ووالده ينظرون لأسفل ويحاولون أن يتحدثوا لمن هم بالأسفل دون أن يرد عليهم أحد، وبينما كان الكل ينظر لأسفل بانتباه محاولين رؤية أي شيء، تحرك السلم حركة عنيفة جدا وفوجئ الجميع بذلك الكيان الغريب يتسلق لأعلى بسرعة جدا متجهًا نحوهم.



كان رئيس العمال أول من تحرك فقفز مسرعًا جانبًا صارخًا في الباقين أن يفعلوا مثله فقفزوا كلهم مبتعدين قدر المستطاع عن الحفرة التي خرج منها القرد الغاضب ناظرًا لمن حوله نظرة سريعة مستكشفة ولكنها غاضبة أيضا، ثواني تجمد الكل في أماكنهم دون أن يجرؤ أحدهم على الإتيان بحركة وفجأة قفز القرد لأغصان شجرة التوت العجوز الموجودة في الفناء ومن الغصن إلى سور الفناء ثم إلى الخارج، وقبل أن يفوق أحدهم من المفاجاة كان العامل المصاب قد خرج من أسفل وتلاه الثلاثة عمال الذين كانوا يعملون معه، وكان منظرهم جميعا يكفي عن أي شرح.

p p p

ساد الاضطراب والهرج والمرج المكان، كان الكل يشعر بالخوف ولكن أشدهم كان محمد وأسرته الذين لم يتوقعوا أبدا ما حدث، ولكن يبدو أن سعيد الذي كان موجودا في ذلك الوقت في البيت ورئيس العمال قد اعتادا تلك الأمور وعرفا كيف يسيطرا على الأمر بسرعة.



طلب منهم سعيد أن يعودوا لبيوتهم ويكفي العمل اليوم، وجعل السيارة تنتظرهم في الخارج، كانوا غرباء بالطبع عن القرية والمنطقة كلها وأعطاهم اليوم التالي إجازة مدفوعة الأجر، ثم عرف كيف يكسب الموقف كله لصالحه عندما أخبرهم أن ما حدث هو مؤشر لاقتراب الوصول للكنز، صرفهم إلى بيوتهم ليداوي الجرحى منهم جروحهم ويستريحوا غداً لالتقاط أنفاسهم.

لم تكن ذكرى ما حدث أول أمس ببعيد عنهم، لذا عندما عاد العمال للحفر كانوا أكثر حذرًا من ذي قبل وأكثر ترقبًا وتوقعًا لمفاجآت مشابهة، ورغم ذلك فقد بدأ يوم جديد من أيام الحفر، يوم آخر شاق وبأمل يتجدد كل صباح أن يصلوا لمبتغاهم في هذا اليوم، الحفر يتعمق أكثر وأكثر ويتشعب والخوف من أن يصل تحت بيت الجيران فتصبح مشكلة، أصبحت على عمق عشرات الأمتار حتى أن الوصول لأسفل أصبح شاقًا جداً ومرعبًا، ولكن لا بديل عن ذلك.

بدأ العمال الفترة الصباحية من العمل، أثناء الحفر كانوا يصادفون وجود أحجار غريبة جدا بعضها أحمر اللون وبعضها أبيض وبعضها أسود، وبعضها ضخم جدا تعاونوا في زحزحته بصعوبة



من مكانه، أضف إلى ذلك المشقة العظيمة في رفع تلك الأحجار لأعلى فعلا كانت مسألة الحفر ورفع بقايا الرمل والأحجار لأعلى مهمة في قمة المشقة والتعب على جميع العمال في الأسفل، ومن في الأعلى يرفعون بقايا الحفر، مرت ساعتان من صباح ذلك اليوم وفجأة توقف أحد العمال عن الحفر ونادى الاثنين الآخرين:

قرب المصباح أكثر وانظروا هنا!

ترك الآخرون ما في أيديهما واقتربا وقد سلطا ضوء المصباح، أشار لهما إلى الصخور وأكمل:

هل ترون تلك الأحجار؟ أليست غريبة عن المعتاد؟!

اقترب أحدهم أكثر ومد يده يتحسس الأحجار الثلاثة التي أمامه وقد تراصت بشكل بدا بفعل شخص أو كيان ما، ليس الأمر عشوائيًا ويصل إلى درجة عالية من الدقة، الأول حجر أحمر والآخر أبيض والثالث أسود وقد شكلوا معا ما يشبه بوابة أو مدخل لبناء ما.

– ما رأيكم؟

– ليست عادية.

– هل تعتقد أنها البوابة؟

– لا أعلم.

– لنحاول تحريكها ولنرى.

تعاونوا وحاولوا بأيديهم وبأدواتهم ولكن دون جدوى وبعد مدة توقفوا، قال أحدهم:

– لنخبر الريس بذلك.

– نعم لنفعل.

وفي الأعلى أخبروا رئيس العمال الذي نزل بنفسه ليرى تلك الأحجار، ثم خرج وقد بدا عليه الاهتمام، أمرهم بعدم إكمال الحفر حتى يأتي الشيخ والمعلم سعيد ولم يكن أي منهما موجود.

توقف العمال عن الحفر ولكنهم لم يغادروا المكان جلسوا يتسامرون ويتناقشون مع أهل البيت وقد أعدت لهم والدة محمد الغداء فتناولوه وأعقبه الشاي والسجائر وبعد بضعة ساعات وصل المعلم سعيد والشيخ فانتحوا جانبا برئيس العمال وبدا أن نقاشًا خطيرًا يدور بينهم.

* * *

طلب الشيخ أن ينزل إلى الحفرة بمفرده، كان سعيد قد صرف العمال ولم يبق منهم إلا رئيسهم، وقف على طرف الحفرة وقد أمسك بالسلم الخشبي بكلتا يديه وبدأ النزول بهدوء وحذر، ونزل إلى أعماق الحفرة، أمسك المصباح الكهربائي الموجود على المصطبة ومشى أفقيا في النفق ثم بدأ النزول مجددا على سقالة خشبية في حفرة أخرى لأسفل، بالطبع كان الأمر في غاية المشقة؛ لأنه لا يعمل في الحفر مثل العمال ولكن بالنسبة له لم تكن المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك، رويداً رويداً نزل إلى أعماق الحفرة بصعوبة بالغة وقد شعر بعضلات يديه وقدميه وقد كادت أن تتمزق، في أعماق الحفرة كان ظلاماً دامساً لولا حمله المصباح الذي أضاء له المكان، الرائحة عطنة خبيثة لا تطاق ممزوجة ببقايا رائحة ماء الورد الذي يسكبه العمال باستمرار، على جانب الحفر وفوق قطعة من الكرتون وضع العمال بعض المصاحف مع جهاز راديو كاسيت يعمل بالبطاريات الجافة ككاسيت فقط بالطبع وكي يتلو القرآن كل حين، جلس أرضا دون أن يهتم بتلوث جلبابه الفخم، وقد أعياه التعب؛ ليلتقط أنفاسه قليلا، رغم أنه اعتاد تلك الأجواء ورغم أنه يحادث الجن إلا أنه شعر بقشعريرة وخوف كبير جدا، تلاقفته الهواجس.. يعلم أنه خاطيء ويستغل القرآن والتدين



الشكلي؛ ليخدع به الناس، خطيئته تصل لحد الكفر ورغم ذلك يكابر ويقنع نفسه أنه عمل ولا يؤذي أحداً، ولكنه في أعماقه يعرف جُرم ما يفعل وعقابه عند اللّه، فقد خان دينه وخان قرآنه الذي يحفظه.

فكر قليلا.. ماذا لو انهار فوقه البيت ودُفن تحت أطنان من الحجارة والرمال والتراب وكثيرا ما حدث ذلك ورأى بعينيه مثل ذلك المشهد؟ هل ستكون خاتمته هكذا كافراً باللّه، خائنًا لوطنه؟

حفزه ذلك على أن ينهض مسرعًا من مكانه متجاهلًا ألمه ومحاولًا إنجاز مهتمه بأقصى سرعة.

الآن جئنا للتساؤل التالي، هو له قرناء من الجن يحادثهم ويظهروا له، لماذا إذن لا يساعدوه هم في فتح المقبرة بل لما لا يقوموا هم باستخراج الكنوز من المقبرة من الأساس موفرين عليهم كل هذا العناء؟!!

والإجابة ببساطة أن الجن الذي يتعامل معه أضعف كثيراً جدا من حراس المقابر الفرعونية فعلى ما يبدو أن الكهنة الفراعنة كانوا على اتصال وثيق بالجن فعرفوا كيف يجندوا أقواهم وأكثرهم بطشاً في حماية مقابرهم، ولعلمه بذلك فقد

تقدم خائفًا نحو الأحجار الثلاثة، نظر لهم مليًا، وتحسسهم، وقد أدرك تمامًا أن بوابة المقبرة قد اقتربت جدا غالبا، خلف تلك الأحجار بأمتار قليلة يوجد حجر أبيض ضخم جدا، غريب الشكل يسد باب المقبرة. ولكن الأمر ليس بتلك السهولة فعلى ما يبدو أن حارس تلك المقبرة جن جبار كاسح القوة ربما مزق من اقترب منها، ولن يترك لهم الباب ليدخلوا إلا إذا نفذوا طلبه والمطلوب منه أن يعرف ماذا يطلب هذا الجني.

ولكن يبدو أن الأوان لم يحن بعد، بخبرته عرف أن هذه الأحجار هي دليل على صحة اتجاه الحفر وعلى اقتراب البوابة جدا وإن كان لازال يلزم مزيد من الحفر والجهد، عند هذه النقطة من التفكير اتخذ قراره مسرعًا وأسرع بالتسلق لأعلى.

ما إن وصل إلى الأعلى حتى استقبلته النظرات بتساؤلات عدة، بينما جلس هو ليلتقط أنفاسه وشرب كوبين من المياه المثلجة، حمد اللّه في سره رغم كل شيء على صعوده سالمًا، ثم وقف واتجه نحو سعيد مباشرة ليخبره بما توصل إليه:

– العمل يجري في الاتجاه الصحيح وقد اقتربنا جدا من المقبرة.



وكان هذا ما يرغب سعيد في سماعه.

p p p



الفصل الثالث

كوابيس

ساءت كثيرًا أحوال الأسرة، أنفقوا كل ما معهم واستدانوا كثيراً من كل من يعرفون حتى يغطوا تكاليف الحفر والحفارين في البيت، البيت الذي كان من قبل رغم بساطته نظيفًا مرتبًا هادئًا، انقلب الحال فيه تماما فأصبح عكس ذلك، أصبح كاستراحة عمال طوال النهار، ولك أن تتخيل متطلبات خمسة أو ستة حفارين يعملون طول



اليوم في التنقيب والحفر، ولكن كل شيء يهون من أجل الهدف الأعظم الذي أصبح مسيطرًا تمامًا على كيان الأسرة كلها، لم تكن الأم راضية تمامًا عما يحدث، وكان عبد الصادق يشعر أحيانًا بوخز ضمير أو يضايقه بعض تصرفات العمال في بيته ولكن، ألا يستحق الكنز الفرعوني القابع في أعماق المقبرة القليل من التضحيات، كان سعيد مقتنعًا تمامًا ومسيطرًا أيضا، لا يمكن أن يقبل مخالفة أوامره.

* * *

منذ أن وجد محمود بقايا الجرة وقد تغيرت أشياء كثيرة في هذا البيت، أهل البيت أنفسهم أصبحوا أكثر عصبية وأقل تحملًا، الأعصاب أصبحت نارية سريعة الاشتعال، بدا وكأنهم أعداء في بعض الأحيان، البيت نفسه أصبح كئيبًا مقبضًا وكأن روحًا شريرة سيطرت عليه.

كان هذا ما دار في رأس محمد وقد شعر بانقباض شديد وضيق في صدره فقرر أن يخرج لاستنشاق بعض الهواء النقي ليلًا بمفرده، شوارع القرية الهادئة خالية تمامًا من البشر والحيوانات وقد خلد الكل إلى النوم كما هي عادة الناس في الريف، قبل أيام كانت هذه من أجمل اللحظات حين يخرج

أحيانا مع أصدقائه للفسحة ليلًا والتمشية على شاطئ الترعة، وفي طريق القرية الطويل المزروع على الجانبين وفي أحدهما توجد الترعة التي تروي حقول القرية وقد نبتت فوق شاطئها أشجار النبق والتوت والنخيل على مسافات متفرقة، سرح محمد بخياله وهو يتأمل الأشجار والبيوت النائمة والترعة التي تعكس مياهها ضوء القمر، وأخذته قدماه إلى الطريق الرئيسي للقرية ووجد نفسه وقد بعد قليلًا عن بيته وعن القرية وانتبه وهو يمر أمام الوحدة الصحية، تيمة الرعب الأزلية الشامخة في أول القرية، لا يمكن أن تمر أمامها دون أن يقشعر بدنك وأنت تتذكر حكايات كبار السن عن الأشباح التي تمرح فيها ليلًا، اقشعر جسده بشدة، لم يستطع أن يمنع نفسه من التحقيق في مبنى الوحدة الذي كان أبيض فيما مضى وبفعل التراب والأيام أصبح رمادي كالح، السور المتهدم في جزء منه، الباب الحديدي الصدأ.

أراد أن يُسرع الخطى وهو يمر أمامها ولكنه توقف فجأة ليتأكد من صحة ما سمعه، صوت سريع جدا ولكنه مزق الصمت المطبق على المكان، هذا صوت باب الوحدة يفتح، نظر نحو الباب المتواري في جزء من الظلام وانتظر ثوان، لم يسمع صوتًا، تنفس الصعداء وقد ظن أنه كان واهمًا، كاد أن



يستدير ويعود إلى بيته ولكن قبل أن يدير رأسه تكرر الصوت هذه المرة أوضح، اقشعر بدنه وتسمر مكانه وهو يحدق بذهول في الظلام، يهيأ له أن شيئًا ما يتحرك، بالتحديد يحاول فتح البوابة، لثوان هربت الدماء منه، وشعر بثقل في قدميه وكأنهما جبلان لا يستطيع أن يحركهما، الشبح يتحرك، هو يرى ظلال تتحرك عند الباب الحديدي، وصوت الصرير يتكرر، ثوان مرت عليه وكأنها دهر، أخيرا، أخيرا استطاع أن ينزع قدميه من الأرض ويتحرك نحو القرية، في البداية أسرع الخطى ثم انطلق بسرعة وهو يشعر أو يتوهم أن اشباح الوحدة الصحية كلها تطارده، انطلق بأقصى سرعة، لم يتوقف إلا أمام باب بيته، لم ينظر خلفه فتح الباب ودخل مسرعًا، كان الكل نائمين لحسن حظه، دخل غرفته وفي فراشه جلس يلتقط أنفاسه.

نام محمد ليلته مرهقًا من العمل ومن التفكير ومن كل شيء، الأحداث المتلاحقة التي مرت بهم بسرعة بدت كحلم أمام عينيه وهو يغمضهما ذاهبًا في نوم عميق، فجأة لا يعرف كيف حدث ذلك وجد نفسه في قاع الحفرة واقفًا أمام باب المقبرة التي يبحثوا عنها، الظلام الدامس يحيط به، لا يرى حتى يديه عندما رفعها أمام عينيه، الرائحة الكريهة المقبضة تزكم الأنوف، شعر أن روحه



تُسلب منه، فجأة شعر بتيار هواء ساخن يلفح وجهه، بالطبع كنا في الصيف والحر خانق هنا ولكن ما أصاب وجهه كان تيارًا شديدًا فتح عينيه عن آخرهما ليرى، ولا يعرف كيف ميز في هذا الظلام ذلك الكائن الخرافي الذي بدا وكأنه قادم من أعماق الجحيم بجسده الضخم جدا المميز لجسد فرس النهر بينما كان الوجه القريب منه والذي لفحته أنفاسه وجه تمساح فاغر فاه بأسنانه البشعة وعينيه المظلمتين المخيفتين ولو كان متاحًا له أن يرى ولو جرؤ على النظر لأسفل لرأى سيقان الأسد التي تحمل هذا الكائن الخرافي، ولو كان مضطلعًا على التاريخ الفرعوني لعلم أن هذا هو(عاميت) الكائن الخرافي الرهيب الحامي للمقابر الفرعونية، كان ينظر له بغضب عارم، كاد يقتله الرعب، لا يعرف كيف يتصرف، عقله انطمس تماما، انمحت منه كل الأفكار، قدماه لا تقويان على حمله وقد تسمرتا في الأرض وكأنهما بأوتاد خشبية قوية، لا يقوى على تحريك حتى جفونه، شعر برعب لم يدرك أنه موجود في هذا العالم، وبدا أنه سوف يظل عالقًا للأبد في هذا الوضع.

p p p



عندما كان عبد الصادق صغيراً وعندما كان نائماً في الحقل تحت شجرة النبق في حقلهم لدغه ثعبان، وقتها ملأ الدنيا صراخًا ورعبًا، ليس من ألم اللدغة أكثر من رعبه من اسم من لدغه وتاريخه الراسخ في عقول الناس كعدو لدود لهم، لم تكن اللدغة بالطبع قاتلة ولا بالخطورة الزائدة ومع بعض الإسعافات الأولية شُفي منها وإن ظل يتمارض فترة بعدها، من وقتها وحتى بعد أن كبر وتزوج وأصبح أبًا وكبر أولاده وهو يخشى الثعابين، الذكرى السوداء رسخت في عقله الباطن خوفًا لا يستأصل من الثعابين، ولكن لماذا هو في هذا المكان الآن، هذا ضوء النجوم البعيد، هذا حقلهم، هذه ملامح شجرة النبق التي أصبحت عجوزًا ولكنها مازالت موجودة في مكانها، هو نائم على الأرض، يده تحت رأسه كمخدة والأخرى وضعها على جانبه، ثمة شيء ما...جسم يتحرك فوقه، مر فوق يده جسم طويل ناعم يزحف على بطنه، ما هذا الفحيح المخيف؟

لم يجرؤ على تحريك جسده ولكنه حرك عينيه نحو الجسم الرابض فوقه، اتسعت عينيه في رعب كاد قلبه ينخلع منه عندما اصطدمت عينيه بعينين صغيرتين تحدجانه مباشرة، عيني ثعبان أسود رهيب.



لا تدري زوجة عبد الصادق ما الذي جعلها تجلس في هذا الوقت الذي خمنت أنه متأخر من الليل بمفردها بجوار الحفرة العميقة التي يحفرونها للوصول للقية.

منذ أن مات حمارهم ودجاجاتهم وقطهم ومنذ أن بدأوا الحفر في الفناء وهناك ما يشبه الاتفاق غير المكتوب أن هذا الفناء ليلًا ليس ملكًا لهم وكأنه انفصل عن البيت، وهم نائمون يشعرون بحركات ويسمعون أصواتًا غامضة غريبة تأتي منه، لكن لا أحد يجرؤ على الكلام، اكتفوا بتجاهل الأمر، ولكن كيف جرؤت هي أن تأتي هنا، والآن؟ ولماذا؟ ثم ما هذه الحشرات الغريبة التي تزحف خارجة من فوهة الحفرة، إنها كثيرة جدا، تتجه نحوها.. تقصدها، إنها.. إنها عقارب، ياللهول، ما كل هذه العقارب التي تزحف نحوها من كل صوب، تقترب منها لا تستطيع أن تتحرك، أو أن تفر، العقارب تزحف على جسدها تصل ليدها لوجهها، إنها..

لاا

محماااد

صرخت صرخة رهيبة مفزعة واستيقظت من نومها تنهج بعنف وتتنفس بسرعة رهيبة وكأن



شياطين الجحيم تطاردها، أوقظت صرختها محمد بل قل أنقذته من ذلك الكائن الخرافي الذي يتربص به في الحلم هو أيضا، فقفز مسرعًا نحو حجرة والديه ليجد والده وقد استيقظ هو أيضا مفزوعا ينفض عن جسمه الثعبان الأسود الذي كاد يفتك به في الحلم.

كان كابوسًا ثلاثيًا هاجم الثلاثة بأشكال مختلفة، ولكنه كابوس جهنمي مفزع، وبدا أن لا نهاية لمعاناتهم تبدو في الأفق.

p p p

كان هذا أحد أيام الحفر، لقد مرت أيام طويلة منذ أن بدأوا، كاد بعضهم يشعر باليأس ولكن بعد أن وجدوا الأحجار الثلاثة انتعش الأمل في القلوب وأصبح الحلم قاب قوسين أو أدنى من التحقيق، العمال يتبادلون أماكنهم، بعضهم في الأسفل والبعض في الأعلى، العمل يتم بنشاط أكبر رغم الانقباض الشديد من عمق النفق الذي يحفرون فيه والروائح التي لا تطاق الآتية من الصخور، رغم الاختناق من ضيق الهواء.



كانوا يحملون أيضا بطاريات جافة (كشاف) كما يطلقون عليه حتى إذا انقطع التيار الكهربائي- وقد حدث ذلك أكثر من مرة- يضيئون به المكان قليلًا حتى لا يشعروا بالفزع من رهبة وظلام المكان.

العمل يجري بهمة ونشاط في الحفر وتكسير الصخور التي تقابلهم، ضرب أحدهم بعنف أسفل قدميه، اتضح أمامه حجر غريب الشكل إلى حد ما، مكانه بهذه الطريقة وكأنه وضع عمداً وليس من فعل الطبيعة، بهمة وسرعة أزال بعض الصخور الصغيرة والرمال من حوله، همممممممم، غريب هذا، هل يكون هذا الحجر هو بوابة المقبرة هو كبير، مستوي، مربع، توقف قليلًا، ينظر إليه وفتح ضوء بطاريته يتأمله أكثر وقد قرب وجهه منه، لاحظ زميلاه تصرفه فاقتربا منه.

– عبد الحميد، ماذا؟

رد وهو منهمك في تحسس وتأمل الحجر:

– انظرا جيدا فليُقطع ذراعي إن لم يكن هذا الحجر وُضع هنا بفعل بعضهم.

– نعم، الفراعنة وضعوه ليسد مقبرتهم.



– أو قد يكون من وضعه هو.............

فهم الاثنين أنه يقصد الجن ولكنهم يخشون التصريح بالكلام هنا، فرد ثان:

– فليكن من وضعه المهم أنه موضوع بتدبير أشخاص.

دار الحوار بينهم وهم يزيلون بقايا الرمل من فوق الحجر ويتأملونه، تقدم أحدهم من منتصف الحجر ووقف فوقه بينما كان أحدهم يقول:

– هل نخبر المعلم سعيد بـ...............

لم يكمل جملته، لأن ما حدث في تلك اللحظة قطع كلامه وجعله يخرس تماماً.

* * *

– انتبهو تماماً لأي شيء غريب أثناء الحفر!

– لا تقتلوا أي شيء حتى لو كان نملة كما أخبرتكم وأكرر.. توقعوا أن تقابلوا أي شيء في الأسفل، نحن لا نعرف أي وسائل اتخذها الفراعنة لحماية موتاهم ومقابرهم، وكل ما نعلمه أنهم قوم جبابرة وقد سخروا الجن في حمايتها، لا توجد مقبرة بلا حماية،

أحيانا لا يكتفوا بالجن الرصد ولكن يقومون بعمل فخاخ أمام المقابر لا نعلم ما فعلوا فقط انتبهوا، كلما اقتربنا من المقبرة كلما كان الخطر أكبر.

كان هذا من تعليمات الشيخ وكبير العمال للحفارين.

كان الشيخ حمدي بالتحديد يعلم ما كان يفعله الكهنة أو هكذا قرأ عنهم، يأتون بحيوان ما ويذبحونه ويجعلون الجني الرصد يشرب من دمه حتى يتهيأ بهيئته، لذا من المرجح أن يقابلوا أي حيوان أثناء حفرهم.

* * *

ما إن وقف العامل بثقله فوق الحجر مختبرًا إياه حتى انهار الحجر الذي يبدو من خارجه صلبًا، انهار تماما، نعم انهار لأسفل، أسفل!!!!!!!!!!

نعم صحيحًا تمامًا ما قرأت، انهار الحجر بالعامل المسكين ليسقط في حفرة عميقة جدا بلا قرار ظاهر، عمقها لا يعرف له مدى، صرخ صرخة مروعة طويلللللللللللللللة وبعد لحظات بدت كالدهر سُمع صوت ارتطام مكتوم بعيدًا جدا، لا تعرف هل هو صوت الحجر أم صوت جسد العامل الذي تضاءل



صوت صرخته ثم توقف وهو يسقط بالحجر في ظلام دامس.

ابتعد الآخرون بسرعة وبهلع خوفًا من السقوط في نفس الحفرة، وقد شلت المفاجأة حركتهما، لم يستطيعا التصرف بل هما لم يعرفا أي تصرف يمكن أن يفعلا، ثوان قليلة حدث فيها كل شيء بسرعة جدا، ما إن انتبه أولهم إلى ما حدث حتى قرب المصباح الكهربائي بيده إلى الحفرة العميقة بحذر ونادى بأعلى صوته: عبحمييييييييييييييييييييييد.

لم يجاوبه إلا صدى الصوت بالطبع، دققا النظر في الحفرة المظلمة ظلامًا لم يعرفاه من قبل، ربما تكون هذه أول آشعة ضوء تمزق هذا الظلام منذ مئات أو حتى آلاف السنين.

وبدا أنهم لن يصلوا إلى تلك المقبرة إلا على جثث بعضهم أو.. أو حتى كلهم.

* * *

بدا الأمر أكثر مشقة حتى بالنسبة للمعلم سعيد نفسه، سقوط العامل في الحفرة– الفخ القاتل الذي نصبه الفراعنة ومن الوارد ألا يكون الوحيد– وموته



ترك آثارًا مدمرة على نفوس الكل، مئات التساؤلات والمخاوف ثارت: الخوف من تكرار مصير العامل، الخوف من المساءلة القانونية، قد يعتبر ما حدث -إذا عرفت الشرطة- الاشتراك في جريمة قتل، أضف إلى جريمة التنقيب عن الآثار، الخوف من ردة فعل أسرة العامل، الخوف حتى من ردود فعل الجيران وأهل القرية، وبدا أن غيمة سوداء في الأفق، ولكن المعلم سعيد لم يكن بالرجل السهل، كان هذا عمله وليست المرة الأولى التي تواجهه مثل تلك المخاوف والمشاكل، عرف بحنكة وخبرة اكتسبها على مر السنوات كيف يمتص كل ذلك كما فعل من قبل ورغم ذلك فإن هذه المرة تختلف كثيرا جدا عما قبل، وأقصى مبلغ حصل عليه من تجارة آثار كان ٢٠٠ ألف دفعة واحدة ولكن يبدو أن هذه فرصة عمره، عشرون مليونا من الجنيهات قابلة للتفاوض والزيادة يُخصم منها نصيب من معه، سوف يتبقى له مبلغًا عظيمًا، لا يستطيع أن يُضحي بالمقبرة من أجل حياة عامل، ولو استدعى الأمر موت الكل مقابل المقبرة فلن يتوانى، والآن عليه إقناعهم بالإكمال.

لخص الأمر في نقاط بسيطة وبطريقة يحسده عليها الفلاسفة:



– بالنسبة لرجلنا –لاحظ استخدام الألفاظ– فسوف نعوض أسرته بما يناسب فورا وحقه محفوظ عندما نبيع المقبرة سوف يصل أولاده بالقرش، ثم نظر إلى رئيس العمال وأكمل بطريقة مسرحية حتى يؤثر في الآخرين:

– اذهب الليلة لأسرة الرجل يا أبا أحمد وأعطهم الألفين جنيه –كانت مبلغًا وقتها وخاصة بالنسبة لعامل حفر فقير– وأخبرهم أننا أنهينا العمل هنا وسوف نسافر إلى المنوفية للعمل في مقبرة هناك، وفور الانتهاء منها سوف يعود والدهم بمبلغ كبير معه، أو الأفضل ألا تذهب بنفسك ولكن أرسل أحداً حتى لا يشكوا في شيء، وما إن نصل إلى المقبرة هنا ونتصرف في الأمانة –يقصد الآثار– حتى أذهب إليهم بنفسي وأعطيهم حقهم.

– حاضر يا معلم، بارك اللّه فيك.

– نظر إلى عبد الصادق قائلًا:

– أما أنت يا أبا محمد فقد تكلفت كثيراً وبعت كل ما تملك، يكفيك مصروفات حتى الآن، سوف أتكفل أنا بالباقي حتى نصل للمقبرة، لن تصرف مليمًا آخر.

– أشكرك جدا يا معلم، أنت تعلم الحال.

– عاد ينظر إلى رئيس العمال قائلًا:

– سوف نضاعف اليومية من الآن لك ولرجالك يا أبا أحمد، العمل أصبح أصعب وأشق كثيرًا والرجال يجب أن نسترضيهم ويأخذوا عرقهم.

– بالطبع لم يمح كلامه آثار موت الرجل ولا الخوف الذي سيطر تماما على القلوب ولكنه على الأقل أعطى دفعة كبيرة لاستمرار العمل وكان يعرف تمامًا ما يفعل.

– بتردد، نزل العمال ليكملوا الحفر، لم يكن لديهم إلا ذلك وخاصة وقد وُعدوا بمبالغ طائلة من رئيسهم ومن المعلم سعيد، وقد شعر الكل باقتراب الوصول للكنز، نزل معهم الشيخ الذي حاول أن يبدو متماسكًا هو أيضا بناءً على طلب سعيد كي يطمأنهم ويرشدهم، هو نفسه كان يشعر بخوف يعصف به وتخاذل ولكن لا مجال للتراجع، قرأ القرآن بصوت مرتفع وتم رش مياه الورد في المكان، لم ينس أن يُلقي نظرة على الحفرة العميقة التي التهمت العامل ولكن لا قرار هناك لكي يراه ولو كانت الشمس نفسها من تضيء وليس مصباحًا كهربائيًا أو بطاريات بسيطة، أنهى



ما شعر أنه واجب ثقيل على قلبه وأشار للعمال أن يكملوا الحفر في اتجاه ما، وتسلق السلم المثبت على الجدار صعوداً بينما أخذ العمال حذرهم بشدة من الحفرة حتى يروا كيف يغلقونها وأكملوا الحفر.

مر يوم وراء يوم وشعور كاسح يسيطر على الكل باقتراب الوصول للمقبرة، وذات يوم بعد الظهر بينما انهمك الثلاثة في الحفر، إذا بأحدهم يتوقف وينادي على الباقين لينظروا ما يرى، تعاونوا في إزالة الرمال والحصى عما أمامهم، وأخيرا رأوا ما كانوا ينتظرون.. بوابة المقبرة.

هذه المرة نزل سعيد بنفسه ورئيس العمال والشيخ، لقد كان بالفعل باب المقبرة الفرعونية، تأملوا البوابة الحجرية بإجلال وانبهار، ثمة نقوش هيروغليفية نُقشت على الحجر الذي يمثل البوابة، كان هناك شعور قوي بكيان غاضب يحيطهم وينتظر للانتقام منهم لو تم إزالة الحجارة من على باب المقبرة، نظر الثلاثة لبعضهم، كان الشيخ أول من تكلم:

– يجب أن نعرف أولًا ما تعنيه هذه الكتابة، قبل أن نفعل أي شيء.



رد سعيد: انقلها في ورقة وأعطها لي وسوف أتصرف.

p p p





الفصل الرابع

عاميت ينتظركم

لم يكن حسن مجرد تاجر آثار أو مساعد في تهريب الآثار الفرعونية وبيعها للأجانب، لقد بدأ حياته أستاذاً للتاريخ في مدرسة إعدادية، كان عاشقاً لتاريخ الفراعنة، تجاوز عشقه مجرد القراءة والدراسة قرر أن يقترب بنفسه من الفراعنة، يرى آثارهم ويستكشفها عن قرب ويدرسها إذا أمكن، ولكن



للأسف من الباب غير الشرعي، تجارة الآثار، كان قربه من تجار الآثار المصريين والأجانب يتيح له دراستها عن قرب والتعرف عليها وكذلك أتاح له ثراء وثروة من المستحيل أن يحققها من عمله كمعلم للتاريخ، لكنها كانت ثروة ملوثة، تجاوز هذه النقطة مع نفسه ولم يعد يفكر فيها كثيراً، حاول أن يُرضي ضميره بطريقة غريبة نوعا ما، كان يحتفظ ببعض التماثيل الحجرية وأوراق البردي غير ذات القيمة الباهظة في بيته، واشترى كل المراجع الممكنة عن التاريخ الفرعوني، بل وعلم نفسه اللغة الهيروغليفية بقدر المستطاع.

كان سعيد يعرف جزءاً من ذلك ويعرف أنه لا يوجد إلا حسن هو من يستطيع قراءة الكتابة الفرعونية، حسن كان يسكن في بيت خاص به في مدينة ملوي بعد أن ترك بيته في قريته غير بعيد عن هنا، بالطبع فإن السكن في المدينة يتيح له البعد عن الأعين التي تعرفه، وقد تعمد ألا يحتك بأحد كثيرا، حتى لا يجد من يسأله عمن يزوره.

وضع سعيد الورقة أمام حسن الذي نظر لها بتمعن وقام فأحضر كتاباً ضخماً قديماً وفتحه، ظل يطالع بعض النصوص ويقارن بين الورقة وما هو مكتوب، استغرق الأمر ساعة لم يقاطعه سعيد



إطلاقا فيها، وأخيرا طوى كتابه وأعاده إلى مكانه وعاد إلى جلسته.

– هاه، ماذا؟

– هل تريد الخبر الجيد أولًا أم السئ؟

– بل ابدأ بالجيد.

– هذه هي المقبرة التي نبحث عنها، هذه مقبرة إحدى الأميرات من أسرة أخناتون.

– أميرة؟!

– نعم؟

– هذا يعني أن تلك المقبرة......

– نعم، ثرية جدا وممتلئة بالكنوز.

– والسئ؟

– السئ هو أن النص المكتوب هو أحد نصوص اللعنة.

– اللعنة؟؟



– نعم، لعنة الفراعنة يا معلم سعيد.

– هل تؤمن بهذا الكلام يا أستاذ حسن أنت الرجل المتعلم المتنور، لنا سنوات عديدة نعمل في هذا المجال ولم يصبنا شيء.

– ربما أننا لم نتعرض لمقبرة ملكية مشابهة، عموما اسمع بنفسك ما كتب عليها:

– "كل من يقترب من مقبرتي بسوء فسوف تلدغه العقارب والثعابين وسيلتهمه الحيوان عاميت"

هل تعرف ما هو عاميت عند الفراعنة؟

لم ينتظر رد سعيد بل أكمل:

حيوان خرافي غريب الشكل رأسه رأس تمساح وجسده فرس نهر وأقدام أسد.

* * *

– الموضوع بالفعل خطير هذه المرة يا معلم سعيد.

– ماذا تعني؟ هل نترك المقبرة؟؟؟؟



– لا لا طبعا ليس هذا ما أقصده.

توقف الشيخ قليلا واستعد لإكمال وتوضيح وجهة نظره وكان سعيد قد مرعليه في طريق عودته من ملوي، لم ينتظر، حتى يقابله في الغد، الأمر لا يحتمل تأخير ولا تأجيل، أكمل قائلًا:

في مثل تلك المقابر التي يكون صاحبها ذا شأن كبير عند الفراعنة تكون الحراسة أقوى وأشد ويكون الرصد أكثر شراسة وإيذاءً وغالبا ما يكون طلبه...

توقف عن الإكمال ونظر إلى سعيد الذي فهم ما يرمي إليه فقال:

–هل تقصد.. ؟

– نعم بالضبط.

– دعنا لا نسبق الأحداث، لنتأكد أولًا مما يريد.

– غدا نرى.

– حسنا سوف أتصل بهم وأعرف كيف أواجه الرصد.

– متى؟ لا وقت لدينا.



– الليلة.

– حسنا، انتبه لنفسك وغدا نتقابل هناك.

p p p

قرر الشيخ أن ينزل وحده هذه المرة إلى داخل المقبرة، لابد أن يقابل الجن الحارس للمقبرة، وقد بدأ بالفعل في النزول، نفس الهواجس والمخاوف السابقة انتابته وأكثر هذه المرة وحاول وهو ينزل مع المجهود العضلي الذي يبذله أن يشجع نفسه بالتفكير في الثروة التي سوف يحصل عليها هذه المرة، عاهد اللّه بينه وبين نفسه أن يكف عن هذا العمل تماما ويتوب إليه توبة نصوحا ولا يعود أبدا إلى الاتصال بالجن أو العمل في هذه المهنة، وليكن اللّه معه هذه المرة، ولآخر مرة.

شجعته الفكرة وأعطته قوة دفعته للاستمرار بالنزول حتى وصل لأسفل، جلس قليلا يلتقط أنفاسه وهو يتلو القرآن بصوت مسموع، موقفه هذا مخيف يخلع قلوب أعتى الرجال، شرب قليلًا من الماء والتقط أنفاسه ومسح عرقه الغزير ووقف في مواجهة بوابة المقبرة، قرأ الفاتحة في سره ثم بدأ



الكلام، حاول أن يخرج صوته ثابتًا ولكنه رغمًا عنه خرج مهزوزًا خائفًا وهو يقول:

- باسم رب سليمان.

ابتلع ريقه واستجمع أفكاره وحاول أن يبدو أهدأ وهو يكرر:

- باسم رب سليمان، أيها الحارس الأمين!

انتظر قليلا، لا إجابة، عاد يقول:

باسم رب سليمان اخرج لي، أريد أن أحادثك يا حارس المقبرة.

فجأة اهتزت الأرض تحته حتى كاد يسقط لولا أنه استند إلى الجدار، تساقط الكثير من الغار عليه من جراء الاهتزاز وأمامه ظهر من العدم ما جعله يتجمد مكانه وترتعد فرائصه، رغم تواصله مع الجن إلا أن الذي أمامه كان مختلفًا، كيان ضخم عينان واسعتان جدا خضراوان تلمعان بالغضب بشكل مرعب، في رأس ضخم وشعر قليل، أذرع طويلة تنتهي بأيد ذات مخالب كأنها سكاكين، ساقين طويلتين مشعرتين مثل سيقان الماعز تنتهي

أيضا أصابعها بأظافر هي مخالب متمسكة بالأرض، قرب الجني وجهه منه وقال بغضب عارم:

– ماذا تريد أيها الإنسي، لماذا اقتحمتم عليَّ مسكني وكدرتم صفوي، بعد ثلاثة آلاف سنة قضيتها في هدوء.

– نعتذر لك عن ذلك.

– سوف أنتقم منكم يا معشر الإنس، لقد أطلقت طيوري النارية لتحرقكم، وأطلقت عليكم ما يقتل حيواناتكم ويكدر صفوكم.

– لا.. نرجوك أن تتوقف عن ذلك، إنما جئت لأتفاوض معك بخصوص المقبرة التي تحرسها.

– تقصد هذه المقبرة، أنا مكلف بحمايتها منذ آلاف السنين وقد أوشكت حياتي على الانتهاء، وأنا كالسجين هنا لا أستطيع أن أتركها.

– إذن ماذا تريد لكي تترك المقبرة بسلام ودون أن تؤذينا.

– امممم، أريد دم مراق على باب المقبرة.

– بتردد وترقب سأل الشيخ:



– دم حيواني، تقصد أن نذبح لك حيوانًا على باب المقبرة.

– صرخ الجني بقوة وعنف زاد من خوف الشيخ المرعوب أصلًا:

– لا أيها الإنسي، بل دم بشري.

– ....

– وليس أي بشري، بل سأخبرك بالتحديد مواصفات من أريد دمه.

p p p





الفصل الخامس

التضحية

كان سعيداً جداً بعمله معهم، يتغدى لحوم أو دجاج مع العمال ويقبل منهم السجائر التي يعطونها له، ويأخذ يومية محترمة يعود بها إلى بيته سعيداً جدا وغالبا ما تعطيه أم محمد طعاماً يعود به لزوجته وبناته، وبدا أن الأيام قد ابتسمت له ولو مؤقتا، كان رئيس العمال كريماً معه جدا رغم الأعمال البسيطة التي يقوم بها فبدوي عجوز لا



يقوى على العمل، فقط يكلفونه بمهام من نوعية أن يحضر لهم سجائر، شاي، سكر، أو مسلتزمات مشابهة، أحيانا يذهب لمنزل المعلم سعيد في الحوطا الشرقية ليحضر من هناك نقوداً أو بخوراً أو شيئًا ما يُكلف به، كان المطلوب منه أن يكون كتوماً وقد كان، لم يقل كلمة أمام أحد حتى أمام بناته وزوجته، رغم أنه رأى القرد الغريب الذي فر من المقبرة، وشهد موت العامل في الشرك داخل المقبرة لكنه كتم كل ذلك، كان قد ذاق عضة الجوع وتعذب وهو يرى أسرته ليال طويلة بلا طعام والآن هو قد رُزق بهذا العمل، فليحافظ عليه بقدر استطاعته، وقد كافأه سعيد بكرم على ذلك.

في ذلك اليوم طلب منه رئيس العمال أن يذهب ليحضر سجائر للعمال، ذهب وعاد وقد لاحظ حركة غريبة حيث توقف العمال عن العمل وفهم أنهم في انتظار المعلم سعيد والشيخ، وعندما عاد بالسجائر كان الثلاثة قد دخلوا إلى صالة البيت وبقي العمال في الفناء، فتح بدوي باب الفناء المفضي لداخل البيت ومد يده ليطرق الباب الداخلي للصالة ولكنه توقف قبل أن تصل يده للباب، كان الثلاثة يتناقشون بصوت منخفض إلى حد ما وبانهماك شديد تسمر مكانه قليلا وسمع جملة على لسان الشيخ، كان ما سمعه رهيبًا، جعل



الدم يتجمد في عروقه، خشي أن يفتح أحدهم الباب ويجده في هذا الوضع المتجسس فطرق الباب بهدوء مرتين قبل أن يدخل وجدهم وقد توقفوا عن الكلام ونظروا إليه بتمعن، هيئته وشحوب وجهه أسفر عما سمعه، مد يده بالسجائر مرتبكًا لكبير العمال فأخذها منه، أشار له المعلم سعيد فاقترب منه، نظر في عينيه وقال بلهجة مخيفة:

– تذكر يا بدوي، كل ما يحدث هنا سر.

– أشار برأسه مرتبكًا وخائفًا:

– نعم نعم يا معلم أعرف.

– ومن يُفشي أسرار من يعمل عندهم؟

– ....

– تعرف ما جزاؤه؟

اقترب من وجهه أكثر وقال ببرود وقسوة:

– القتل يا بدوي، وأنت تعلم من هو المعلم سعيد.



انصرف بدوي شاعرًا برعب لم يشعره في حياته، ولكنه لم يكن لينطق بكلمة رغم هول ما سمع.

p p p

عاد إلى بيته شاردًا في ذلك المساء، عقله مشغول جدًا بما سمع، لأول مرة في حياته يدرك أن هناك همومًا يمكن أن يحملها الإنسان أكثر بكثير من المال والطعام، هم السر الذي سمعه، حتى أنه على غير العادة عندما جلس على (الطبلية) بين بناته وزوجته لم يستطع أن يتناول إلا لقيمات قليلة تناولها وهو شارد، نظرت الفتيات إلى أمهن بقلق وهن يرمقن أبيهم بشفقة، بادرت الزوجة بسؤاله:

– ما بك يا أبا زينب؟

– هه، ماذا؟

– أسالك ماذا بك؟ لست على طبيعتك ولا تأكل شيئًا، ماذا يشغل بالك؟

– لا شيء لا شيء.

لكنه يكذب، تعلم أنه يكذب، وهو يعلم أنهن يعرفن أنه يكذب، ولكنه لا يستطيع أن يصارحهن



بما في نفسه رغم أنه حمل ثقيل عليه، طوال عمره يصارح زوجته بكل شيء، تحمل عنه، تهون قدر ما تستطيع، لم تكن أشياء عظيمة ما تقلقه أو تهمه فيما قبل، لكن الآن الأمر يختلف تماما.

لم ينم تقريبا ليلته، أعطى جانبه لزوجته وظل ساهرًا في الفراش أغلب الليل، يفكر ويفكر في كل شيء، في الزوجة المريضة والفتاتين اللتين لم تتزوجا حتى الآن والفتاة الصغيرة، في الفقر، في الحاجة، في المستقبل المظلم المخيف لأسرته لو حدث له شيء، ثم في مندور، جاره الفقير مثله أو الذي كان فقيرًا حتى سافر ابنه إلى السعودية، مرت شهور وبدأ يرسل لهم النقود، أراح والده من العمل الشاق كأجير مثله، لم تمض أربع سنوات حتى كان مندور قد اشترى قطعة أرض صغيرة قريبة من الترعة التي تقسم القرية نصفين وبنى فوقها دكانًا يبيع فيه المواد الغذائية لأهل المنطقة وشيئا فشيئا ملأه بالبضاعة، أصبح يقف فيه طوال اليوم، يتبادل العمل مع زوجته وابنه الصغير، بدا أن الأمور قد تحسنت كثيرا معهم.

– شوف يا بدوي ياأخي..

قالها مندور وهو يسحب نفسًا عميقًا من سيجارته التي أعطى مثلها لبدوي وهما جالسان أمام



الدكان ذات يوم قريب، ثم أكمل:

– التجارة حلوة أكيد، شغل نظيف غير مرهق ومكسب واسع.

نظر إليه مبهورًا وسأله:

– أكيد أن الأمر تكلف كثيرا من المال يا مندور.

نظر إلى الفراغ وهو يلوح بيده التي تحمل السيجارة وقال كأنه يكلم نفسه:

ليس كثيرا جدا، قطعة الأرض القيراط هذا مباني بحوالي ٢٠ ألفًا ولنقل تكلفت بنيان الدكان ثلاثة آلاف، والبضاعة مبدأيا خمسة آلاف تبدأ بهم وبعدها تأخذ من التجار وتسدد لهم على دفعات، يعني الحسبة كلها حوالي ٢٧ ألفًا.

تكرر الرقم في عقله، مبلغ ضخم وهو في حياته لم يمسك ألف جنيه مرة واحدة.

ثمة فكرة تطارده، فكرة لعينة جهنمية ولكنها تعد حلًا جذريًا لكل مشاكل أسرته، سرح بخياله وتخيل أنه حصل على المبلغ واشترى قيراطًا بجوار بدوي وبنى دكانًا، البلد كبيرة جدا وسكانها كُثُر،



والله هو موزع الأرزاق، بنى قصورًا من الأحلام، تدخل ضميره يذكره بأن ذلك لو تم فسوف يكون مقابل تضحية وأي تضحية، مقابل دم، صوت عقله يحاول إقناعه بأن الله غفور، سوف يغفر له، هو يعلم مدى معاناته وخوفه على أسرته ولذلك سوف يقدم على ذلك، ارتاح لهذا الخاطر وحسم أمره وقرر ألا يتراجع وقرر أن ينام قليلًا قبل شروق الشمس.

* * *

– كل الخطوات التي تمت حتى الآن منذ اكتشاف أن هناك مقبرة في البيت خطيرة، ولكن الخطوة التالية هي الأكثر خطورة لأنها ببساطة الأكثر عرضة للافتضاح، أنت تتحدث عنها عن اختطاف وقتل مع سبق الإصرار، تتحدث عن إعدام لو كُشف الأمر، كانت حيرة بالفعل بالنسبة لسعيد وللشيخ وكذلك لعبد الصادق الذي أشركه سعيد بالطبع في الحوار، لا يمكن أن يتم شيء مثل هذا في بيته إلا بمعرفته وبموافقته، جلس الثلاثة يتناقشون في منزل سعيد:

– ألا يمكن أن نفتح المقبرة دون دم بشري؟

– مستحيل، لن يسمح الجن الحارس بذلك أبدا سوف يؤذينا جميعا ويؤذي أهل بيتك وربما امتد



أذاه إلى لقرية كلها.

– لا لا، لا أريد أن يصيب عائلتي أي أذى.

صمت.. تفكير

– ألا يمكن أن نذبح معزة أو خروف أو أي شيء آخر.

– مستحيل، لا نستطيع أن نخدعه، سوف يغضب غضبًا عارمًا ويؤذنا جميعا.

– ماذا، هل نتراجع عن فتح المقبرة؟

– وهذا أيضا مستحيل، لن نضحي بمثل تلك الكنوز أبدا، ويذهب كل ما فعلناه هباء.

ثم فكر قليلًا وأكمل: سوف أذهب لزيارة عمر في الجبل، ولنرى ما يمكن فعله.

في هذه اللحظة طرق الباب، ثم فتح ليدخل أحد رجال سعيد، توجه إليه قائلًا: هناك شخص يريد مقابلتك يا معلم.

– من؟



ظهر على مدخل الباب بدوي، قائلًا: أنا يا معلم سعيد.

– نظر إليه الجميع بينما قال سعيد: ماذا تريد يا بدوي، ولماذا أتيت إلى هنا؟

نظر بدوي إلى الخفير وعاد ينظر إلى سعيد وقال: أريدك في أمر مهم جدا لا يحتمل التأخير وسري جدا أيضا.

أشار سعيد إلى الخفير فخرج ونظر إلى بدوي قائلًا بنفاذ صبر: تكلم، ما الأمر الخطير الذي جئتني من أجله؟

– سوف أعرض عليك عرضًا، أريد مقابله ٢٧ ألف جنيه.

نظر الجميع إلى بعضهم ثم إلى سعيد الذي احمر وجهه غضبًا وكاد يفتك ببدوي لولا أنه أكمل كلامه بسرعة:

– أنا أعرف ما تريدون، لقد سمعتكم وأستطيع أن أحل لكم تلك المشكلة ولكن عدني أن تعطيني المبلغ الذي طلبته.



p p p

أدهشهم إصراره وطريقته في الكلام، ليس هذا بدوي الخانع الذي تبدو من عينيه نظرات الخضوع والذل أحيانا الذي فرضه عليه الفقر والحاجة للناس، هم أمام بدوي آخر تبدو في عينيه نظرات إصرار غريبة.

ناقشوه طويلًا فيما يريد أن يفعل:

– بدوي، هل تعي ما تقول؟

– نعم.

– هل أنت جاد؟

– جدا.

– هل تدرك خطورة ما سوف تفعل؟

– أدرك.

– هذا لعب أطفال يا بدوي، نحن لا نطلب منك أن تسرق معزة من حقل جيرانك؟

– أعلم.



– هذه مسألة دم، الأمر قد يودي بنا جميعا إلى حبل المشنقة لو انكشف الأمر.

–أعرف.

– خذ مهلة فكر قليلا فيما تريد أن تفعل.

– فكرت وأنا مصر على إتمام تلك المهمة.

– وأسرتك؟

– هذا من أجل أسرتي.

نظروا لبعضهم، نظرات ذات مغزى، بعد صمت قليل قطعه سعيد:

– حسنا يا بدوي، لك ما تريد.

تهللت أساريره وبدت السعادة في عينيه وهو ينظر إلى سعيد:

– هل وافقت يا معلم؟

– نعم، هل تريد أن أحضر لك النقود حالًا؟

فرك يديه بسعادة وحماس وهو يؤكد:



– نعم نعم أحضر ال٢٧ ألف جنيه حالًا.

دخل سعيد دقائق وخرج وبيده كيسًا قماشيًا أبيض، مد يده به إلى بدوي قائلًا:

– ها هي النقود يا بدوي.

أمسك الكيس بيد ترتعش من السعادة، أخرج النقود، رزم من النقود، كاد عقله يطير فرحة وعدم تصديق، لا يعرف هل يُقبلها، يتشممها أم يُخفيها في ثيابه، نظر إليه الثلاثة بتمعن ودون أن يتكلم أحدهم حتى قال سعيد:

– ولكن يا بدوي عندي سؤال.

انهمك بدوي في إخفاء النقود أسفل ملابسه حتى لا يراها أحد فأكمل سعيد كلامه:

– لماذا ٢٧ ألف بالتحديد؟

انتهى تماما من إخفاء النقود وقد سندها بيده من الخارج وهو يقول:

– سوف أشترى قيراط أرض من الحاج أحمد عبد الغني وأفتتح دكانًا، مثل دكان مندور.



نظروا لبعضهم دون أن يعلقوا، سأله الشيخ:

– متى سوف تنفذ؟

– أمهلني يومين فقط.

– حسنا أمامك يومين ليس أكثر.

– هل أستطيع أن أنصرف الآن؟

– نعم ولكن تذكر يا بدوي، لا أحد ينصب على سعيد، لا أحد يعبث مع سعيد، أنت تعلم من هو المعلم سعيد.

* * *

في البداية فرح بشدة عندما عرف أنهم وجدوا آثارًا في بيتهم، تصور نفسه ثريًا ويملك من المال والثياب الجديدة والألعاب ما يفاخر به أصدقائه، ولكن فرحته بدأت تبهت شيئًا فشيئًا، ساد جو من الكآبة بيتهم وبدأت تظهر ظواهر جديدة سيئة كانت نادرا ما تحدث مثل المشاحنات بين والده ووالدته وأخيه أيضا، هو نفسه بدأ يرى أحلاما مفزعة تتعلق بالعقارب والثعابين وكائنات مخيفة تبدو غاضبة، يستيقظ مفزوعًا يرتجف ولكنه لم يخبر



أحداً بذلك من أسرته، لا يريد أن يظنوا أنه طفل صغير ويطلبوا منه أن يذهب ليعيش عند جده هذه الأيام، يريد أن يرى الأحداث ويعايشها عن كثب.

كانوا يحاولون ألا يتكلموا أمامه بشيء ولكنه عرف كل شيء حدث في بيتهم أثناء الحفر، حتى سقوط العامل في الحفرة وموته، بدأ يشعر بتأنيب الضمير ويلوم نفسه لأنه هو من وجد آثار الجرة التي دلت على المقبرة، أحزنه انتهاك الغرباء لحرمة منزله، أغضبه أن يرى والده وأخيه في هذه الصور المهينة أمام سعيد ورجاله، وشعر بشفقة كبيرة وحزن عندما رأى والدته تعمل طول النهار في إعداد الطعام والشاي للعمال، عنما سمع المعلم سعيد يتحدث همساً ذات مرة مع الشيخ ذاكراً كلمة الخواجة، ثار شيء ما بداخله، رغم حداثة سنه فإن الأستاذ منير مدرسه المحبوب من الكل قد حدثهم مرة عن الآثار المصرية، آثار بلدهم الحبيب وكيف تُنهب وتُباع وتُهرب إلى بلاد الأجانب، لكنه كان حقا في حيرة من أمره لا يدري كيف يتصرف، هل يذهب إلى نقطة الشرطة الموجودة في القرية المجاورة ويُبلغ الضابط؟ هل يعرض الأمر كله على الأستاذ منير الذي يثق به تماماً ويدعه يتصرف.



بالطبع لم يفعل أيًا من ذلك خوفًا على أسرته حتى جاء الموقف الحاسم، القشة التي قصمت ظهر البعير، سمع جزءاً من حوار دار بين محمد ووالده، كان الأمر يتعلق بتضحية وذبح شخص على باب المقبرة، هنا لم يستطع التحمل عقله الصغير هداه إلى التصرف الوحيد المتاح في هذه الحالة وقرر أن ينفذه.

* * *

الطريق من الحوطا الشرقية من بيت سعيد إلى بيته في العوامر استغرق منه حوالي ساعة، قضاها تتقاذفه الأفكار وتضطرب المشاعر بين ضلوعه، بحركة آلية كان يسند بيده الأموال التي يحملها والتي تعني مستقبل أسرته والأمان لهم وبطريقة غير مريبة حتى لا يشك فيه أحد، ولكنه رغم ذلك كان شارداً، ألقى أحدهم عليه السلام فلم ينتبه أصلا، شرد بخياله فاشترى قطعة الأرض وبنى دكانه ورأى ابنتيه يبيعان مختلف البضائع وقد ارتديا ملابس جديدة نظيفة بينما ابنته الصغيرة لديها ألعاب تلهو بها سعيدة، وزوجته قد تحسنت صحتها، ابنته الكبرى تتزوج من ابن صديقه مندور الذي عاد من السعودية وأقام لها فرحًا عزم فيه



كل القرية، الكل سعداء، كانت هذه الأفكار تشجعه، تحمسه أكثر وتزيده إصرارًا.

– ازيك يا عم بدوي.

أحد الأطفال ألقى عليه السلام وهو سائر شارد، نظر له ورد بابتسامة:

– أهلا أهلا.. ازيك يا ولدي.

– أكمل سيره نحو بيته، وعاد يشرد ويتخيل، ولكن هل هذا المقابل يستحق التضحية بالفعل التي سوف يقدمها؟!!

حسم أمره: نعم يستحق.

ربت على الأموال التي تحت يده والتي أعطاه وجودها قوة كبيرة وقرر ألا يتراجع، مد الخطى ليقطع الخطوات الباقية إلى منزله.

* * *

فتحت له ابنته الصغيرة الباب، نظر لها بعمق، احتضنها ودمعت عيناه، استغربت تصرفه وسألته: ماذا بك يا أبي؟



ربت على كتفها ورد: لا شيء يا ابنتي لا شيء.

ساد الصمت البيت الصغير الذي كان مطمئنًا سعيداً أغلب الوقت رغم الفقر والحاجة، لا تفهم زوجته ولا ابنتيه لماذا تغير هكذا وهو لم يصرح بشيء، دخل غرفته ونادى زوجته، جلست أمامه، مد يده يخرج النقود وهو يقول: سوف أريكِ شيئًا ولكن لا تسألي أسئلة كثيرة.

نظرت له في قلق.

أخرج رزم النقود التي أذهلتها رؤيتها، استغرق الأمر وقتا طويلا حتى استطاع أن يفهمها أنه لم يسرق ولم يقتل ولم يفعل شيئًا يعاقب عليه القانون حتى الآن طلب منها أن تحتفظ بالنقود وإذا حدث له شيء تذهب إلى الحاج أحمد تشتري منه قيراطًا من الأرض وتعطيه النقود، وتطلب منه أن يبني لهم دكانًا هناك، وسوف يساعدها مندور في الباقي، لم تفهم ولكنها لم تعارضه في شيء إلا أن قلبها انقبض بشدة وتوجست شرًا.

* * *

فجأة انفجرت القنبلة في القرية، اختفت الفتاة فاطمة، اختفت بطريقة غامضة، جُن جنون الناس



هنا، سبق أن اختفى طفل هنا أو هناك ولكنها بضع ساعات على أقصى تقدير ويجده أهله تائهًا في الحقول أو نائمًا هنا أو هناك

لكن بدا أن هذه المرة مختلفة، انقلبت البلد رأسًا على عقب، الكل يبحث الكل يفتش، بحثوا في الحقول بحثوا في غابة الخوص على شاطئ النيل، فتشوا في المنازل الجديدة التي لم يكتمل بنيانها في أول البلد، شكل أصدقاؤه عبد اللّه وعزيز والباقين فريق بحث وانتشروا في كل أنحاء القرية وحولها، خرج محمد معهم قليلا كي لا يشك أحد في شيء ولكنه لم يستطع التمادي في التظاهر، عاد إلى بيته سريعا وانتظر ما تسفر عنه التطورات.

طلب المعلم سعيد بالتوقف فورا عن العمل فلم يأت الحفارون في اليوم التالي، خمن أنه إذا لم تظهر الفتاة سريعا أو جثمانها فإن الشرطة سوف تتدخل وهنا قد تحدث الكارثة لو شك أحد في شيء خاص بعبد الصادق وبيته لذا لزم التوقف وقد كان.

أجواء الخوف والتوجس خيمت على القرية الآمنة، اختفاء الفتاة الصغيرة هكذا بلا أثر ترك خوفًا في كل القلوب وخاصة من عندهم أطفال، وبدا أن أوقاتًا عصيبة سوف تمر على هذه القرية بالفعل.



ppp

لا أحد يجهل جاد، الرجل الغريب المريض العقلي السابق الذي يعيش منفرداً في بيت على طرف القرية، تقريبا لا يختلط بأحد، منذ وفاة عمته وقد ظل وحيداً لا زوجة لا صديق، بالطبع لديه أقارب ولكنه لا يختلط بأحد، ليس ثمة قط أسود بشع الهيئة مخيف هو من يعيش معه.

جرت الأحداث بسرعة الصاروخ في القرية، جاءت الشرطة بصوت السارينة التي مزقت أستار الليل، تحول ليل القرية إلى نهار، أحداث متلاحقة، يبدو أن هناك شيئًا خاصًا بجاد، خرج محمد في منتصف الليل، على ضجة كبيرة فوجيء بأن أغلب أهل القرية متجمعين عند بيت جاد ومنهم أصدقاؤه الذين بدا أن لهم يد فيما يحدث، عندما وصل هناك كان ضابط الشرطة والجنود يركبون السيارة ويغادرون بينما جاد غير موجود هناك.

نظر له الناس، يبدو أن لعنة ما أصابت القرية الآمنة، لعنة هو يعرف سببها، لم يتحدث مع أحد طأطأ رأسه وعاد إلى منزله.

* * *



انتهى موضوع جاد وعُرف سره ولكن الفتاة فاطمة لم يتم العثور على أثر لها حية أو ميتة، ظلت القرية على صفيح ساخن، وإن هدأت الأمور قليلًا، وبدا أن أهل الفتاة وأهل القرية قد استسلموا لما حدث وبدأ إيمانهم يقل شيئًا فشيئًا بإمكان وجود الفتاة وإن كان أهلها لم يفقدوا ذلك الأمل بدرجة كبيرة.

وكان قرار المعلم سعيد وكلامه مقنعًا ومرغمًا أيضا، لا يتبق إلا يوم عمل واحد فقط، لنمضيه بأي شكل ونحاول أن نعمل بأكبر درجة من الهدوء والسرية حتى تمر الساعات الباقية لفتح المقبرة على خير، لم يعارضه أحد، كان قبلها قد قابل الخواجة مرة أخرى والأستاذ حسن وبشرهم باقتراب الوصول للمقبرة وطلب من الخواجة أن يكون مستعداً واتفقا على موعد التسليم، ولكن سعيد لم يكن ساذجًا، كان يريد أن يدخل المقبرة أولًا ويرى ما بداخلها ثم يقدره، بالطبع قد تتجاوز قيمة الكنوز عشرات الملايين من الجنيهات ولكنه سوف يقبل بأقل من ذلك بكثير مقابل ألا يخاطر بأي شيء، رتب أفكاره وأعد ما سيقوله للخواجة بعد فتح المقبرة:

أسلمك الآثار في الحوطا الشرقية وأنت تتصرف بمعرفتك ولا شأن لي بما يحدث بعد ذلك.



ولكنه لم يرد أن يسبق الأحداث، لم ينس أن الخطوة الأصعب هي المتبقية، خطوة الضحية البشرية التي تُذبح على باب المقبرة، فلتفتح المقبرة أولًا ثم نرى ما سيكون.

* * *

– عبد اللّه، أشك كثيرًا في محمد وأسرته.

– كيف؟

– الكل يعرف أنهم ينقبون عن الآثار في بيتهم وإن حاولوا أن يخفوا ذلك.

– وماذا في ذلك يا عزيز؟

– ألم تربط بين اختفاء البنت وفتح المقابر؟

– هل تقصد أن............

لم يكمل عبد اللّه جملته، ولكن باقي تساؤله كان مفهومًا لصديقه عزيز الذي أكمل:

– نعم هذا ما أقصده.



– مستحيل يا عزيز، تعتقد أن صديقنا وجارنا وقريبنا محمد ووالده الرجل الطيب الذي يعد بمثابة والد لنا جميعا قد يفعلا ذلك؟!!

– الآثار والنقود وحلم الثراء الفاحش بلا تعب يفعلا ما هو أكثر، ثم أنت لا تعلم من هو المسيطر على الوضع كله في بيت محمد الآن، إنه المعلم سعيد، لقد قرأت بعض الوقائع التي تتحدث عن تضحية بحيوانات أو طيور وعن حاجة رصد المقابر الفرعونية إلى دم لكي تفتح، وعن تضحية أيضا ببشر، وبأطفال أو فتيات عذراوات، وذبحهم على باب المقبرة حتى يتركهم الجن يفتحوها.

جعلهتم الفكرة يشعرون بقشعريرة مفاجأة، رد عزيز: لابد من التحرك بسرعة، لو أن ما نفكر فيه صحيح فثمة أمل بالفعل في وجود فاطمة.

–هذا إن لم يكونوا قد ذبحوها بالفعل.

كان هذان هما عبد اللّه وعزيز الصديقان اللذان كانا وراء الكشف عن قصة جاد، وكانا لا يزالا يبحثا مع باقي أصدقائهم عن الفتاة المختفية.

– ما العمل؟



– لدي فكرة ولكن تنفيذها يحتاج إلى باقي الأصدقاء معنا.

بات بدوي ليلة غريبة بعد أن أبلغه محمد أن غدا سوف يستكملون الحفر، وأبلغه برسالة سعيد أن يُحضر الأمانة التي عنده، يكاد عقله ينفجر من التفكير، أوهام وهواجس سيطرت عليه تمامًا، لم يتحدث مع أحد من أسرته، كان كلامه بالنسبة لهم غريبا جدا، قال لزوجته:

– سامحيني فيما سوف أفعل، ولتعلمي أن أي تصرف أقوم به هو من أجلكم فقط.

لم تفهم ولكن قلبها انقبض بشدة من كلامه، حاولت أن تسأله ولكنها يأست من عدم توضيحه.

احتضن بناته الثلاثة وظل يتأملهم كثيرا وخاصة بنته الأصغر الأقرب إلى قلبه، نام ليلته أو قل لم ينم وفي وقت مبكر والكل نائم قام من فراشه، نظر لوجه زوجته النائمة، وفتح غرفة بناته محاذرًا أن يُوقظ إحداهن، ونظر إليهن نظرة طويلة، كانت أمامه مهمة صعبة جدا يجب أن يقوم بها وقد تعهد بذلك وأخذ مقابلها مسبقًا ما يؤمن به حياة أسرته.



p p p





الفصل السادس

دماء على باب المقبرة

جاءت السيارة التي تحمل العمال في الصباح الباكر، كان قرار سعيد بأن تُفتح المقبرة اليوم، سعيد نفسه حضر ومعه الشيخ والكل كان حاضراً، جو من الترقب والتوجس خيم على البيت.

بادرهم سعيد بالقول:



اليوم يا رجال سوف يكون إن شاء اللّه آخر يوم عمل لنا، سوف نفتح المقبرة بإذن اللّه، نريد أن نُتم الأمر بهدوء وبسرعة حتى تأخذوا نصيبكم من الكنوز.

كان يلعب لعبة نفسية يجيدها رغم أنه غير متعلم، وبالكاد يستطيع قراءة كلمات قليلة وكتابة اسمه، ولكن الزمن والأحداث التي مر بها أنضجاه ما يكفي، أكمل ناظراً إلى عبد الصادق وولديه:

– أما أنت يا حاج عبد الصادق فقد تعبت كثيراً أنت وأهل بيتك الأيام الماضية، ولكن ما هي إلا ساعات قليلة ونُخرج الكنز من بيتك وتطفو على وجه الدنيا، تشتري أراض زراعية وسيارة وتفتح دكاناً وربما تشتري سيارة لو أردت أن تذهب لتسكن في المدينة.

حقا كان يعرف ما يفعل، وضع كوب الشاي بعد أن أنهاه ونظر إلى الجميع وقال:

– هل أنتم مستعدون؟

غمغمات متداخلة تعني: نعم.



– إذن فلينزل اثنين منكم للاطمئنان على الأحوال في الأسفل حتى تصل الأمانة.

ثم نظر حوله متساءلًا:

– أين بدوي ألم يأتِ بعد؟

– من المؤكد أنه قادم الآن يامعلم لا تقلق، لقد أكدنا عليه بالأمس.

نظر إلى عبد الصادق وقال ومال بوجهه نحوه وهمس في أذنه:

– أرسل زوجتك وابنك الصغير عند أبيها الآن، نريد أن تتم الأمور بلا مشاكل، أنت تعرف النساء والولد أيضا صغير، يكفيهما ما عاشاه الأيام الماضية.

– أومأ برأسه مؤمنًا على كلامه، ثم أشار إلى محمد الذي اقترب وهمس في أذنه، فذهب قليلًا وعاد إليه ليقول:

– سوف أصطحب والدتي إلى منزل جدي ولكن محمود غير موجود، أرسله هناك فور أن يأتي.

– بدأ العمال نزول السلم وبدا أن النهاية قد اقتربت بالفعل.



* * *

– المعلم سعيد، الباحث عن السلطة والسطوة والقوة والأموال، كان يفكر وهو ينزل درجات السلم الخشبي أن هذه فرصته الحقيقة وقد جاءت بعد سنوات طويلة من العمل في التنقيب عن الآثار، كل ما قبل هذه المقبرة كان تفاهات بالنسبة لها، كم فتح مقبرة فرعونية ولم يجد إلا تماثيل حجارة، أغلب المقابر التي قابلها كانت قد أُنتهكت من قِبل لصوص في زمن ما أخذوا منها الغالي والنفيس، وتركوا فقط ما لم يكن له قيمة وقتها، هذه المرة تختلف، المكان البكر الذي لا يبدو أن أحداً ارتاده من قبل، العمق الكبير، الجن الجبار الحارس للمقبرة والذي ما كان ليسمح لأحد أن ينتهك حرمتها دون تلبية مطالبه كل هذه الدلائل تقول إن المقبرة مازالت بكرا لم ينتهكها بشري من قبل، هذه الكنوز سوف تضاعف من ثروته وسطوته ورجاله، يفكر أن تكون آخر مرة وليعمل أي مشروع مربح قانوني في القرية أو في المدينة ربما في الجبل المجاور لبيته في الحوطا الشرقية، كل خطوة يخطوها لأسفل تقربه أكثر وأكثر من ذلك، ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أنه لن يمكنه أن يترك أبداً هذا العمل، فليدع كل هذه الأفكار جانبا الآن ويدعو أن تمر اللحظات القادمة على خير.

الشيخ حمدي، الذي كان شيخا ثم أغرته النقود فانحرف عن الطريق وصبأ، تتردد في ذهنه نفس الأفكار التي ترددت عندما نزل هذه المقبرة من قبل، ولكنه هذه المرة عازم تماما على التوبة، حتى أنه استيقظ اليوم مبكراً، اغتسل وكأنه لأول مرة يدخل في الإسلام، صلى الفجر وظل يقرأ القرآن ويدعو اللّه أن يعطيه فرصة أخيرة لكي يعود إلى رشده وعقله ودينه، بالطبع فكرة أن أموال الآثار التي يسرقونها حرام هذه فكرة لا يؤمن بها إطلاقا وكذلك كثير جدا، يعتبرونه رزقًا أخرجه اللّه لهم من الأرض وليس فيه أي حرمانية، كان أكثر الحاضرين خوفًا وإدراكًا لفداحة ما يرتكبون، ورغم أنه كان يستطيع أن يتراجع في آخر لحظة، ولكن سبق السيف العزل، حدثه عقله، ليس بعد كل ذلك، دونه ما كان ليتم شيء إطلاقا، لا يمكن أن يُفرط في نصيبه أبداً، أنت تتحدث عن مليون جنيه على الأقل وعده بها المعلم سعيد نصيبه من المقبرة، كان المبلغ ضخماً جداً بالنسبة له، يمكن أن يعيش حياته به متعبداً في مسجد ولكن.. عدة مشاعر تتقاذفه، ألم، ندم، خوف، رجاء ورغم كل شيء كان قلبه منقبضاً بشدة وهو ينزل درجات السلم ببطء وتردد يحثه على الإسراع.



من جاء خلفه كان يتمتم بشطر الآية القرآنية : "دعوا اللّه مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين"، تصور سيناريو ما حدث في عقله وكأنه يشاهد فيلماً من ذلك الذي كان يشاهده قديما في قهوة شعبان، عندما وقف على الباب وسمع الحوار بين الشيخ والمعلم سعيد:

– هل أنت متأكد من كلامك؟!

– هل هذا شيء يُنسى يا معلم سعيد؟!! لقد أخبرتك بطلبه مني حرفياً.

– تعني أن الرصد طلب منك أن نذبح رجلًا عجوزاً أمام باب المقبرة؟!

– بالضبط هذا ما حدث.

– امممممم، هذه أكبر مشكلة تواجهنا حتى الآن.

– أنت تعرف معنى أن يطلب ذلك، لن يجرؤ أحد على دخول المقبرة دون أن ننفذ طلبه.

عندها دوت الكلمات في أذنه وعقله وظل ساعات طويلة يفكر، الواقع أنه لم يتوقف عن التفكير منذ سمع تلك المحادثة، مضى كالمسحور المُقاد إلى



مصيره، اختلطت عنده الأفكار بالأحلام بالمخاوف، مزيج مختلط مضطرب من الخيالات والأفكار انتهت كلها بقرارها الأخير، التضحية بنفسه لصالح أسرته، لا بديل عن ذلك، فليذبح العجوز ولتحيا ثلاثة أنفس، كل ما يملك من هذا العالم الذي لم ير فيه إلا أيام عديدة حلوة والباقي مر.

اتخذ قراره، الفتيات وأمهن يجب أن يعشن عيشة مستورة، سوف يكون هناك قريبا (دكان بدوي) الذي تديره زوجة بدوي وبناته، رتب كل شيء حتى لا تواجهن صعوبة، بدا أنه مصر تماماً على ما يفعل، ورغم ذلك فالروح ليست بسهولة، كما يظن، عموما لا مناص، انتهى وقت التردد، فليسلم أمره للّه ويكمل النزول.

العاملان اللذان نزلا معهم والاثنان الباقيان في الخارج ورئيسهم، كانوا جميعا تداعبهم أحلام الثراء.

إن مائة ألف جنيه لك منهم لهي مبلغاً مهولًا، طبعا كان المعلم سعيد المتصرف في كل شيء والمسيطر تماماً على الوضع هنا يشتري بهذا المبلغ سكوتهم ورضاهم وتبعيتهم له قبل أن يكون من أجل مجهود وعمل شاق لأيام صعبة طويلة.



في قلق عاصف وترقب، بقي محمد ووالده في الخارج، يترقبون حدوث ما لم يكن في الحسبان، حتى تلك اللحظة لا يصدقون أنفسهم بأن حلم الثراء أصبح على بعد عدة أمتار وبضع دقائق منهم، أي صوت يأتي من الخارج أو من داخل الحفرة يُزعجهم ويُقلقهم بشدة، اللحظات تمر ببطء وكأنها سنوات، تساءل الاثنان في سرهما: تُرى هل تنقضي تلك اللحظات على خير؟

* * *

اتخذ محمود الصغير قراره بعد تفكير دام وقتًا طويلًا، لا يمكن أن يقبل بمزيد من القتل في بيتهم، ربما كان والده وأخيه الأكبر قد أعماهم حلم الثراء الفاحش والأموال، ولكنه لم تلوث روحه بعد، ليس هذا فقط، ولكنه فكر لو انكشف شيء ربما سُجن الاثنين سجنًا طويلًا، فليبلغ الشرطة بما يحدث، ولينقذ أسرته من مصير أسود محتوم بنسبة كبيرة جدا، في ذلك اليوم الذي عرف أنه يوم ذبح عم بدوي الرجل العجوز الطيب الفقير الذي يريد أن يُضحي بنفسه من أجل بعض المال يعطونه لبناته وزوجته، كان الكل ينظر إليه على أنه صغير لا يفهم كثيرًا، ولكنه كان يفهم جداً ويعرف ما عليه فعله بالتفصيل، بصلابة وإصرار رجل



قوي ناضج وضع قراره موضع التنفيذ، تحرك خلسة دون أن يشعروا به، ركب سيارة أجرة متجهة للقرية المجاورة وهناك طلب مقابلة الضابط، بالطبع رضخ له الجندي الواقف بعد أن رأى إصراره وشعر بخطورة الأمر.

أمام الضابط، بدأ يحكي محمود الأحداث بسرعة وباقتضاب؛ لأنه يدرك أنهم ربما ذبحوا بدوي في أي لحظة، شعر الضابط بخطورة الأمر، أمر بسرعة بتجهيز سيارتي شرطة وبعض الجنود بسلاحهم وهو خارج قابل عبد اللّه وعزيز وقد قررا أن يبلغوا الشرطة وقد فوجئا عندما وجدا محمود هناك، كانا قد اتخذا قرارًا بمراقبة منزل محمد جيدا وإبلاغ الشرطة، اصطحبها الضابط معه في السيارة، وفي الطريق كان محمود الصغير ما زال يسرد الأحداث التي فهم منها أن التضحية لن تكون بفاطمة ولكن ببدوي العجوز نفسه.

قطعت سيارات الشرطة المسافة مسرعة بصوتها المزعج الذي مزق الهدوء وهي تنهب الطريق نهبًا قبل أن تتم عملية القتل.

p p p



أمام باب المقبرة وقف الكل يستعد للحظة الحاسمة، كان سعيد قد طلب منهم أن يوسعوا الحفر كثيرًا أمام المقبرة حتى تسهل الحركة عندما تحين اللحظة، لحظة التضحية للرصد وإهدار الدم البشري على الباب حتى يُفتح وتم تسوية المساحة أمام الباب الحجري وعمل مصطبة بالخرسانة.

الصمت واحترام حرمة الموت الذي يحلق بجناحيه فوق المكان هو ما ساد الآن إلا من أصوات حركة النعال وبعض التعليمات من سعيد، الكل يتحرك دون ضجة، بهدوء، أحضروا كفنًا وسكينة حامية حتى لا يتعذب القربان، كل شيء أعد لتلك اللحظة بعناية، نظر سعيد حوله، تأكد تماما من الاستعداد، لا شيء ينقص، تقدم بدوي وهو يتلو الشهادتين، لا يشعر بساقيه ولا بجسمه، يرتعد ويبكي كطفل صغير، لك أن تتصور ما يشعر به الآن، حاول الشيخ أن يسانده ويقويه قدر الإمكان، كان يقرأ أمامه آيات من القرآن ويشجعه بقوله إنه سوف يدخل الجنة لأنه يُضحي بنفسه من أجل أسرته ووعده أن المعلم سعيد وهو والحاج عبد الصادق سوف يرعون أسرته ولن يتركوهم أبدا وسوف يشترون الأرض ويبنون الدكان كما أراد بالضبط، ولكن بدوي كان في عالم آخر، لم يكن



يسمع ولا يرى ولا يشعر بشيء تقريبا، نام على الأرض على ظهره فوق بطانية أحضروها له وهو يرتجف بعنف ويبكي بكاء مريرًا، نظر سعيد لكل شيء، أشار بوجهه للعامل الغليظ الذي يمسك السكين فتقدم من بدوي الذي لا يراه وقد أمسك به العامل الآخر ورئيس العمال حتى لا يتحرك أثناء الذبح، الآن إشارة واحدة من سعيد وينتهي الأمر بسرعة، كان الكل يرغب أن تنتهي هذه اللحظة بسرعة جداً.

ولكن....

من الحكيم نافذ البصيرة القائل: تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

لا تسير الأمور دائما في الاتجاه المرسوم حتى النهاية، قبل أن تلمس السكين رقبة بدوي المنهار تمامًا فوجئ الجميع بذلك الصوت الذي انطلق فجأة يتردد في الحفرة والسرداب وغزا أسماعهم، وعقولهم، تجمد الكل في ذهول للحظة حتى يتأكدوا مما سمعوا، تكرر الصوت، وبدا أنها النهاية.

كان هذا ما يتوقعه محمد ووالده، كان يغامرهم شعور قوي جدا أن الأمور لن تسير على ما يرام حتى

النهاية، هرب الدم من عبد الصادق لدى سماعه لصوت سارينة سيارة الشرطة وهي تقترب منهم حتى أنه لم يتكلم وهو يرهف السمع ولم يحرك ساكنا، توقفت سيارتا الشرطة أمام منزلهم وطرق الشرطة الباب بعنف، وأحد الجنود يصيح من الخارج:

– افتح الباب بسرعة، شرطة، هيا افتح أو نكسره.

عجزت ساقا عبد الصادق عن حمله فتهاوى على عتبة الباب الداخلي جالسًا بينما أسرع محمد يفتح باب الفناء المؤدي للخارج والذي كان مغلقًا جيدا وكان الجنود يطرقونه بعنف، فتح لهم الباب فنحاه أحدهم بغلظة جانبا ودخل مع الضابط وبضعة جنود آخرين، ودون كلمة واحدة أشار الضابط إلى مكان الحفر فاقترب جنديان منه وهو معهم وقد حمل مكبر الصوت معه وقبل أن يقف فوق طرف الحفرة ويتكلم أشار لجنديين آخرين قائلًا:

– فتشا البيت جيداً واحتجزا كل من به.

أسرعا لتنفيذ الأوامر بينما لم يتحرك عبد الصادق من جلسته وقد وضع رأسه مطأطأة بين يديه في انكسار وظل محمداً واجم فسأله الضابط:



– هل هم بالأسفل؟

– نعم.

– كم عددهم؟

– خمسة.

– معهم سلاح؟

– لم أر سلاحًا مع أي منهم، ولكن أعتقد أن المعلم سعيد لا يتحرك دون مسدسه.

قف هنا ولا تتحرك أنت موقوف.

لم يكن ليتحرك من مكانه أصلا دون حتى أوامر الضابط الذي أشار إلى اثنين من الجنود أن للأسفل بإشارة تعني أن ينزلا إلى أسفل، فأسرعا ينفذان الأمر قرب المكبر من فوهة الحفرة وبدأ يتكلم:

– إلى كل من بالأسفل توقفوا تمامًا عن ارتكاب أي جريمة، الشرطة تحاصر المكان، توقفوا فورا نكرر، لا ترتكبوا أي حماقة، فليخرج الكل رافعين أيديهم.

تكرر النداء بصوت أحد الجنود الذي أعطاه الضابط مكبر الصوت بينما نزل هو بسرعة مع اثنين آخرين



على السلم الخشبي بسرعة محاولين إنقاذ الأمر بأسرع ما يمكن.

وقع الصوت على الجميع كقنبلة انفجرت في المكان، نظروا لبعضهم لحظات تجمدوا فيها بذهول تام، أرهفوا السمع تماما لكي يتأكدوا مما يسمعون، اختلجت المشاعر بين الضلوع واختلطت في القلوب واتفقت على شيء واحد، الذهول، كل منهم سرح ثوان في عالمه الخاص، كان أول من تحرك منهم بدوي، تأكد مما يسمع، أبعد أيدي العاملين عنه وقفز واقفًا، انطلق بسرعة تتعارض تمامًا مع سنه وحالته الصحية كأنماعاد شاب في العشرينيات، جرى يقطع النفق الطولي وهو يتخبط في الجدران ويصرخ وكأنما مسه الجنون:

– الحقوني.. يريدون أن يذبحوني.. الحقوني.

– اضطرب العمال الواقفين وشعروا بخوف شديد من الشرطة، لم يعرفوا كيف التصرف وأين المفر، بينما انهار تماما الشيخ حمدي وألقى بجسده في ركن المصطبة مستنداً بظهره إلى الحائط بعد أن عجزت قدماه عن حمله وهو يبكي بحرقة ويردد: أنا أستحق.. أنا أستحق ما يحدث لي، كان أمامي فرصة للتوبة والنجاة ولكنني لم أستغلها.



ما إن أفاق من ذهوله وتأكد أن الشرطة تحاصرهم بالفعل حتى جُن جنون سعيد تماما وفقد عقله وأعصابه معا، لم يكن مستعداً للتضحية بهذه الكنوز التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى من متناول يده، لم يكن مستعداً بعد هذه السنوات الطويلة والثراء والسطوة أن يسقط في قبضة الشرطة، أخرج مسدسه وهو يصرخ:

– لن ينال هذه المقبرة أحد غيري، أنا المعلم سعيد نفسه، أنا المعلم سعيد.

ظل يصرخ بهذ الكلمات ثم ودون أي حذر صوب مسدسه لباب المقبرة وأطلق الرصاص على مقربة، ارتطمت إحدى الرصاصات في حجر صلب ثم ارتدت بعنف لتسكن جسد رئيس العمال الذي أطلق صرخة ألم عالية وسقط أرضًا، لم يبال سعيد بذلك بل أطلق مرة أخرى الرصاص على باب المقبرة، في هذه اللحظة انهارت بعض الأحجار فوق بعضها، ثم بدأت الجدران تتصدع في النفق وتنهار فوق رؤوس الجميع، حاول أحد العمال أن يقفز بعيدا ولكن حجر ضخم سقط فوق رأسه فأرداه على الفور وسال دمه ملوثًا الصخور، تلاشت صرخات الباقين وسط أصوات انهيار الأحجار المتتالي بسرعة فوق الرؤوس بعنف.



– كان بدوي قد صعد حتى المصطبة التي بُنيت في نهاية النفق الذي ينتهي بالحفرة المؤدية لأعلى، سمع صوت سقوط الصخور فنظر خلفه ولكنه لم ير شيئا بسبب الغبار الكثيف المتصاعد، واصل فراره وكأنه فر من شياطين الجحيم، كان الضابط والجنديان قد ولا لآخر السلم الخشبي ففوجئوا ببدوي وسمعوا صوت الانهيارات، صرخ بدوي وهو يراهم:

– النفق ينهار، أسرعوا سوف ندفن جميعًا.

أسرع الكل بالصعود بينما واصلت الصخور الانهيار، بالطبع لم ينهار البيت لأن ما حدث كان في باطن الأرض على بعد أكثر من خمسة عشر مترًا.

وصلوا لفوق بسلام، جلس بدوي على الأرض وقد تضاربت مشاعره، لا تعرفه يبكي أم يضحك، كان الوحيد الذي نجا من انهيار النفق الذي دُفن فيه سعيد والشيخ والعمال.

أسرع الكل يغادرون المنزل بسرعة خوفًا من انهياره بهم.

p p p

خاتمة الجزء الثاني

الآن وقد انقشع غبار الحرب، نستطيع أن نُحصي الضحايا والخسائر والغنائم إن وجدت..

لقد انهار النفق تمامًا وابتلعت الأرض في باطنها المعلم سعيد بطمعه للمال وأحلامه لمزيد من الثراء والسلطة ومعه الشيخ الضال الذي كان أحد الأسباب الرئيسية في تلك المأساة وضاع معه أمله في التوبة الذي أجله إلى ما بعد الحصول على نصيبه من المقبرة والثراء، كذلك ابتلعت الأرض العاملين المساكين ورئيسهم.

أما عبد الصادق فقد تم إلقاء القبض عليه هو ومحمد وتوجيه عدة اتهامات لهما بالتنقيب عن الآثار والاشتراك في جريمة قتل والشروع في جريمة أخرى، هذا عوضًا عن المنزل الذي تحفظت عليه الشرطة كي يتم إعادة الحفر وفتح المقبرة بمعرفة خبراء الآثار المصريين.

عبد اللّه واصدقاؤه خاب مسعاهم مرة أخرى في العثور على الطفلة فاطمة المختفية وإن كانوا يشعرون ببعض الرضا لعدم وجودها في القصة



أصلا، وقد ظننا في وقت ما أنها من سوف يتم التضحية بها.

الخواجة وحسن لم يأت ذكرهما أصلا في الموضوع، لم يكن أحد على علاقة بهما إلا المعلم سعيد وقد مات سرهما معه ففرا هذه المرة.

الوحيد الذي خرج فائزًا من هذه القضية هو بدوي فقط، كما عرفنا لقد فاز بكل شيء وكأن اللّه أراد أن يكافأه على تفانيه من أجل أسرته واستعداده للتضحية حتى بحياته من أجلهم.

انتهت القصة الثانية ولازال هناك خطًا ممتداً، فلم يتم العثور على فاطمة حتى الآن.

كانت القرية تعيش في اضطراب أثناء فترة اختفائها والآن أصبحت على صفيح ساخن بعد تلك الأحداث الأخيرة، ويبدو أن الأيام العصيبة لم تنته بعد.

p p p



لم يتبق أمامنا إلا بيت واحد تحوم حوله الشكوك منذ البداية ولكن الأحداث تحركت بعيداً عنه.. أنت تعرفه، فيلا غامضة يعيش فيها رجل لا يراه أحد تقريبا ولا يُعرف له نشاط واضح لهو مكان يثير الريبة بلا شك ولكن لهذا قصة أخرى.

تمت بحمد اللّه

أحمد عبد الرحيم

مدينة أكتوبر في ٣١ يناير ٢٠١٨

p p p

للتواصل مع الكاتب

Ahmad Abdelrahim

m.ahmad.f@hotmail.com